

وادي الأحزان

كل شيء بدأ وكأنه حلم مزعج. لقد كنا بعيدين عن وادي سوات لما يقارب الثلاثة أشهر، وبما أننا جاوزنا المكان الذي تم محاصرة تشرشل فيه، وعبرنا الأطلال القديمة في الجبل وستوبيا عملاق البوذية، لاح لنا نهر وادي سوات الواسع فأجهش أبي في البكاء. بدأ لنا سوات وكأنه تحت سيطرة عسكرية كاملة، حتى السيارة التي كانت تقلنا كان عليها أن تعبر من خلال نقطة فحص المتفجرات قبل أن نعبر ممر مالاكاند. وبما أننا عبرنا من الجانب الآخر ثم نزلنا للوادي فقد بدا لنا أن هناك عدد من نقاط التفتيش العسكرية في كل مكان. أما العسكر فقد أقاموا أوكاراً لرشاشاتهم على كثير من الاسطح وحينسافرنا عبر عدد من القرى، رأينا مباني وكأنها أطلال ومركبات محترقة جعلتني أفكر في أفلام الحرب القديمة أو ألعاب الفيديو التي كان أخي خوشال يحب أن يلعبها. أصابتنا الدهشة والصدمة عندما وصلنا إلى منقورا. وكان الجيش وطلبان قد تقاتلا من شارع إلى شارع. طالت طلقات القتال كل الجدران فكل جدار كان مثقوباً برصاص. كانت هناك أكوام من أنقاض المباني التي كانت تستخدمها طالبان كمخابئ، وأكوام من الحطام والمعادن المتشابكة واللافتات المحطمة. معظم المحال التجارية كانت لها أقبالاً حديدية متينة لذلك لم تُنهب. كانت المدينة صامتة وخالية من الناس وحركة السير كما لو نزل فيها طاعوناً. أما المشهد الأغرب في كل ذلك كان هو محطة البصات التي كانت دائماً ما تعج بالفوضى وحركة السيارات والركشات السريعة، إلا أنها إنعدمت تماماً حتى أننا رأينا النباتات تنمو في

أرصفة الطرقات ولم نرى مدينتنا كذلك من قبل. على الأقل لم تكن هناك أي علامة لطالبان.

وبتاريخ 24 من شهر يوليو من العام 2009، وبعد أسبوع من إعلان رئيس وزرائنا طرد حركة طالبان، وعضو الرئيسبان إمدادات الغاز قد عادت، وأن البنوك عادت تفتح أبوابها وتمت مناقشة سكان وادي سوات للعودة . في نهاية الأمر كان ما يقارب نصف سكان وادي سوات البالغ تعدادهم مليون وثمانمائة الف نسمة قد غادروا الوادي. ومما إستطعنا رؤيتهان معظم أولئك الناس لم يفتتوا بأن هناك أمناً حتى يعودوا إلى الوادي.

وبما أننا إقترنا من منزلنا فالكل دخل في صمت بما فيهم أخي الصغير أتالادي كان يكثر من الشرثرة . كان منزلنا قريباً من مقر قيادة الجيش لذا كنا قلقين فربما تم تدميره في القصف. سمعنا أيضاً أن هناك الكثير من المنازل قد نهبت. قبضنا أنفاسنا عندما قام أبي بفتح الباب. كان أول مارأيناه، بعد فترة غيابنا عن المنزل والتي إمتدت لثلاث أشهر، هوأن حديقة منزلنا اصبحت غابة. هرع أخواني مسرعين ليتفقدوا دجاجاتهم فعادوا بيبكون، فكل ما ما تبقى من الدجاج كان أكواماً من الريش فكانت عظام أجسامها الصغيرة متشابكة كما لو أنها ماتت في عناق. جاءت حتى ماتت.

لقد حزنت لأخواني ولكن كان علي أن أنفقد أشياء خاصة بي، فرحتُ عندما وجدتُ حقيبتى المدرسية كانت لا تزال معبأة بكتبي، فشكرتُ ربي أن دعواتي أستجيبت أن كتبي سليمة، فأخذت أنفقدتها واحدة تلو الاخرى فبدأت بالرياضيات، ثم الفيزياء، اللغة الأوردية، اللغة الانجليزية، اللغة البشتونية، الكيمياء، الأحياء، الاسلاميات، دراسات باكستان. أخيراً سأكون قادرة لأن أعود للمدرسة دون خوف.

ثم ذهبت وأنا مقهورة جلست على سريري. كنا محظوظين بأن منزلنا لم يُقتحم، أربعة أو خمسة منازل في شارعنا نُهبَت. سُرقت التلفزيونات والمجوهرات. حتى والدة صافينا، جارتنا كانت قد أودعت مجوهراتها في خزائن البنك من أجل حفظها إلا أنها سُرقت.

كان أبي قلقاً فأراد أن يطمئن على موضوع المدرسة فذهبت معه فوجدنا أن المبنى المقابل لمدرسة البنات قد ضُوب بصاروخ، إلا أن المدرسة كانت تبدو وكأنها لم تصب بأذى. لأسباب كثيرة لم نتمكن من فتح المدرسة بالمفاتيح التي كان يحملها أبي حيث أنها لم تعد صالحة فوجدنا صبيّاً تسلق الجدار وقام بفتح الباب من الداخل، لقد أسرعنا الخطى، متوقعين الأسوأ.

حينما دخلنا فناء الدارقال أبي " كان أحدهم هنا". غطى الفناء أعقاب السجائر وأغلفة طعام فارغة ملقاه على أطراف الأرض، وكراسي مقلوبة كانت تعم الفوضى المكان. وكان أبي قد أنزل لافتة مدرسة خوشالوتركها في فناء الدار متكئة بإتجاه الجدار، فصرختُ عندما رفعناها فوجدنا في الأسفل بقايا روؤس أغنام متعفنة تبدو وكأنها بقايا عشاء لشخص ما.

ثم ذهبنا إلى الصفوف فإذا بالشعارات المناهضة لطالبان تملأ الجدران بخطوط مختلفة فكتب أحدٌ بخط غامق تصعب إزالته (الجيش سندباد يحيا الجيش). عندها أدركنا من كان يعيش هناك. حتى أن أحد الجنود قد كتب قصائد حب مبتذلة في إحدى مذكرات زميلاتي. تناثرت أغطية الرصاص على الارض، وكان الجنود قد قاموا بحفر حفرة في الجدار من خلالها تستطيع رؤية المدينة أدناه وربما كانوا يقومون بإطلاق النار على الناس من خلال تلك الحفرة، لقد حزنت كثيراً أن مدرستنا العزيزة أصبحت ساحة للمعارك.

وبينما كنا ننظر حولنا سمعنا أحداً يقرع الباب في الأسفل، فأمرني أبي قائلاً :
" لا تفتحي الباب مالالا!".

وجد أبي رسالة في مكتبه كان الجيش قد تركها، تعاتب المواطنين أمثالنا
بالسماح لطالبان بالسيطرة على وادي سوات، فقرأها أبي وجاء فيها " لقد فقدنا
الكثير من أرواح جنودنا الغالية وذلك بسبب إهمالكم" يحيا جيش باك."

فقال أبي "هذا هو الوضع الطبيعي" نحن شعب سوات أول من فُتت بطالبان،
ثم قتلونا، والآن نُعاتب بسببهم فُتتنا، قُتلنا ثم عُتبتنا!.

في بعض الحالات، لم يبدو أن الجيش يختلف كثيراً عن الميليشيات، فأخبرنا
أحد الجيران أنه رآهم يتركون جثث قتلى طالبان في الشوارع ليراها الناس،
والآن طائراتهم تحلق في السماء كأنها حشرات سوداء تُحدث أزيزاً. وعندما
سرنا إلى المنزل بقينا بالقرب من الجدران حتى لا يرونا.

سمعنا أن آلاف من الناس تم إعتقالهم بما فيهم صبيانلم تتجاوز أعمارهم
ثمانى سنوات، وقد تم غسل أدمغتهم لتدريبهم على مهام الانفجارات
الانتحارية. أرسلهم الجيش إلى معسكرات الجهاديين للتخلص من تطرفهم،
وكان أحد الذين تم إعتقالهم معلمنا للغة الأردية وكان طاعن في السن رفض
أن يعلم البنات وبدلاً عن ذلك ذهب لمساعدة رجال فضل الله في جمع
وتحطيم الاقراص المدمجة وأقراص الفيديو الرقمية.

فضل الله نفسه كان لايزال حراً طليفاً. قام الجيش بتدمير مركزه الرئيس في
دار الأمام ثم أعلن أنه مُحاصر في جبال بيشاور، ثم قالوا أنه أصيب بجروح
بالغة وأودع المتحدث باسمه مسلم خان الحجز. لاحقاً تغيرت الرواية وأبلغونا
أن فضل الله هرب إلى أفغانستان وأنه في محافظة كونار. قال البعض أنه تم

القبض على فضل الله إلا أن الجيش وجهاز الاستخبارات الداخلية لم يتمكنوا من الاتفاق على ما سيفعلونه معه. أراد الجيش سجنه، لكن جهاز الاستخبارات غلب رأيه وأخذ فضل الله إلى باجوار ليتمكن من التسلل عبر الحدود إلى أفغانستان.

كان يبدو أن مسلم خان وقائد آخر يدعى محمدهما فقطمن أعضاء قيادة طالبان الذين تم أحتجازهما أما البقية فكانوا لا يزالون طلقاء. ظل الخوف ينتابني لطالما فضل الله لا يزال موجوداً وخشيتُمن أن تجتمع طالبان صفوفها وتعود للسلطة. أحياناً كنت أري كوابيساً لكني إطمأنتُ بعد أن توقفت إذاعة فضل الله.

أحمد شاهد_ كان صديقاً لأبي_سمى تلك الفترة فترة سلام مؤقت وليس سلام دائم. لكن تدريجياً عاد الناس إلى الوادي لأن سوات جميل ولا نتحمل أن نبعد عنه طويلاً.

عاد جرس مدرستنا ولأول مرة يرن مرة أخرى في الأول من أغسطس. كان أمراً رائعاً أن نسمع ذلك الصوت ونركض تجاه الباب ونصعد الدرج كما كنا نفعل من قبل. لقد غمرتني سعادة وأنا أرى جميع صديقاتي. كانت لدينا الكثير من القصص في الأيام التي عشناها كنازحين، فأقام معظمنا مع أصدقاء أو أسرتينما أقام البعض الآخر في المعسكرات. أدركنا أننا كنا محظوظين، فالكثير من الأطفال كان عليهم أن يتلقوا دروسهم في المخيمات بسبب أن طالبان قامت بتحطيم مدارسهم. فقدت إحدى صديقاتي وتُدعى سندس والدها الذي تم إغتياله في تفجير.

بدأ الأمر وكأن الجميع علم أنني كتبت مذكرة البي.بي.سي.إعتقد البعض أن أبي هو من قام بكتابتها لي إلا أن مديرتنا السيدة مريم أخبرتهم قائلة " لا مالالا ليست مجرد متحدثة جيدة بل هي كاتبة جيدة كذلك ".

في ذلك الصيف كان هناك موضوعاً واحداً للنقاش في صفي وهو أن صديقتنا شيزا شاهد، من إسلام آباد كانت قد أنتهت من دراستها في جامعة ستانفورد، فدعت سبعة وعشرين فتاة من فتيات مدرسة خوشال لقضاء بضعة أيام في العاصمة (إسلام آباد)، لمشاهدة المعالم السياحية والمشاركة في ورش عمل بغرض مساعدتنا في التغلب على صدمة العيش تحت طالبان . من صفي تم إختياري، مونيبا، ملكة ابنة نور، رضا كاريشما، وسندس وقد رافقتنا أمي والسيدة مريم.

غادرنا إلى العاصمة بالحافلة في يوم 14 من شهر أغسطس وقد صادف يوم الإستقلال. الكل كان مفعماً بالإثارة حيث أن معظم الفتيات غادرن الوادي فقط عندما كنا نازحين. إلا أن هذه المرة كانت مختلفة جداً فهيكالاً أعياد التي قرأنا عنها في الروايات. أقمنا في بيت الضيافة وقمنا بعمل بعض الورش التي تحكي قصصنا حيث أن الناس _ من خارج سوات_ كانوا يريدون معرفة ما يجري في الوادي وكذا مساعدتنا. إندهشت شيزا من أول جلسة بسبب مدى قوة الإرادة والصخب الذي تملكنا فقالت لأبي " الغرفة تعج بأكثر من مالالا".

لقد قمنا بأعمال ترفيهية أخرى مثل الذهاب إلى الحديقة والاستماع للموسيقى والتي قد تبدو عادية لمعظم الناس إلا أنها في سوات أصبحت ضرب من ضروب الإحتجاج السياسي. لقد رأينا المعالم فقمنا بزيارة مسجد فيصل في قاعدة جبال مارجالا والذي تم تشييده بواسطة

مواطنين سعوديين بتكلفة بلغت ملايين الروبيات وهو مسجد كبير أبيض يبدو وكأنه خيمة متألئة معلقة بين المآذن. في أول زيارة لنا للمسرح قمنا بمشاهدة مسرحية إنجليزية تسمى " تومو وديك وهاري دروس فيالفن". تناولنا الطعام في مطاعم مختلفة وكانت زيارتنا الأولى لمطاعم ماكدونز. كانت هناك الكثير من الأشياء التي أراها أول مرة رغم أنني أضطرت لأن أفوت وجبة في مطعم صيني وذلك لأنني كنت أشترك في عرض برنامج تلفزيوني يسمى "حديث العاصمة". وحتى يومنا هذا لم أحظى بفرصة لأتذوق فطائر البط.

تختلف إسلام آباد تماماً عن سوات. فكانت تختلف بالنسبة لنا كإختلافها عن نيويورك. قدمنا شيزا لنساء محاميات، دكتورات، وكذلك ناشطات واللاتي أظهرن لنا أن النساء يستطعن أن يقمن بأعظم الأدوار بل والإحتفاظ بثقافتهن وتقاليدهن. رأينا نساء في الطرقات لا يرتدين خماراً كاشفات لرؤسهن. لم أضع خماراً على رأسي في بعض الاجتماعات معتقدةً أنني أصبحت فتاة عصرية. لاحقاً أدركت ببساطة أن كشف الرأس لايجعل المرأة عصرية.

قضينا هنالك أسبوعاً واحداً وكما هو متوقع تشاجرتُ مع مونييا حيث رأيتي في فترة سابقة أتجاذب أطراف الحديث مع إحدى الفتيات فقالت لي " أنت الآن تتحدثين مع ريشام أما أنا فسأتحدث إلى رضا".

أرادت شيزا أن تقدمنا لذوى النفوذ وبالطبع هم العسكر في بلدنا. كان أحد إجتماعاتنا مع اللواء أظهر عباس كبير المتحدثين باسم الجيش ورئيس العلاقات العامة. سافرنا لمقابلته في مكتبه الواقع في مدينة روالبندي وهي المدينة المشابهة لمدينة إسلام آباد ففاضت أعيننا بالدهشة عندما رأينا مقر

قيادة الجيش. فقد كان، دون باقي المدينة ، أكثر نظافة وقد إزدان بالخضرة والأزهار المخضرة، حتى الأشجار كانت تبدو في مقاس واحد وقد تم طلاء أجزاعها باللون الابيضحتى منتصف الطريق و لم ندري لما تم ذلك الطلاء بتلك الصورة .

رأينا في داخل مقر الجيش مكاتباً بداخلها تلفزيونات مصفوفة، يقوم رجال بمراقبة كل قناة من القنوات التلفزيونية. إندهش أبي عندما أراه أحد الضباط ملفاً سميكاً من الأوراق يحوي كل ما نُكر عن الجيش في الصحف اليومية الصادرة في ذلك اليوم. بدأ الجيش أكثر فعالية من السياسيين في نظر الرأي العام في وطننا.

توجهنا إلى قاعة لإنتظار اللواء، في تلك القاعة كانت هناك صور لجميع قادة جيشنا، وهم أقوى الرجال في بلادنا بما فيهم الديكتاتورين أمثال مشرف و سكارى ضياء. قام خادم يلبس قفازات بيضاء بتقديم الشاي، البسكويت و قطع صغيرة من سمبوسة اللحم التي ذابت في أفواهنا.

عندما دخل اللواء عباس وقف الجميع.بدأ عباسيتحدث إلينا عن العمليات العسكرية في وادي سوات والتي قدمها كإنتصارات حيث ذكر أن 128 جندياً و 1600رهيباً قد قُتلوا في تلك العمليات. وقد تم أخطارنا من قبل بأنه بإمكاننا إعداد أسئلة فقامت بإعداد قائمة من سبعة أو ثمانية أسئلة. ضحكت شيزا وقالت لن يستطيع الإجابة على الكثير من تلك الأسئلة!. كنتُ أجلس في الصف الأول وكنتُ أول من سُمح له فوجهتُ لهسؤالاً " لقد أخبرتمونا قبل شهرين أو ثلاثة أن فضل الله ونائبه تم إطلاق النار عليهما وأصيبا بجروح، ثم ذكرتم أنهما في وادي سوات، وأحياناً تقولون أنهما في أفغانستانكيف

وصلا إلى هناك؟"، فإذا كان لديكم الكثير من المعلومات لماذا لم تلقوا بالقبض عليهما؟

إستغرقت إجابته من عشر إلى خمسة عشرة دقيقة إلا أنني لم أعي ماذا كانت إجابته! ثم سألته عن إعادة الإعمار فقلت له "ينبغي على الجيش أن يقوم بعمل شئ مستقبلي لإعمار وادي سوات وليس فقط التركيز على العمليات العسكرية".

أرادت مونييا أن تعلم شيئاً فسألت سؤالاً مشابهاً قائلةً "من سيقوم بإعادة إعمار جميع هذه المباني والمدارس؟". بإسلوبٍ عسكري أجاب اللواء قائلاً "بعد إنتهاء العمليات، سنقوم بالإصلاح ثم إعادة التأهيل ومن ثم سنقوم بتسليم السلطة ونقلها لسلطات مدنية".

تحدثنا - كفتيات - بصراحة فقلنا: "نريد تقديم طالبان للعدالة" إلا أننا لم نكن مقتنعين بأن ذلك سيتحقق. بعد تبادل الكلمات قام اللواء عباس بإعطاء بعضنا البطاقة التعريفية الخاصة به وطلب منّا الإتصال به في حال إحتجنا لأي شئ.

في اليوم الاخير، كان على كل فتاة منا أن نلقي خطاباً في نادي إسلام آباد، عن تجربة وادي سوات تحت حكم طالبان. لم تستطع مونييا وقف دموعها عندما بدأت بالحديث بعدها أجهش الجميع بالبكاء. لقد إستمتعنا بلمحة من حياة مختلفة في إسلام آباد. في خطابي أخبرت الجمهور أنه قبل مشاهدتي للمسرحية الإنجليزية ما كنتُ أعلم أن هناك الكثير من الموهوبين في باكستان، فقلتُ مزحة "الآن أدركتُ أننا لسنا بحاجة لمشاهدة الافلام الهندية" لقد أمضينا وقتاً رائعاً، وعندما عدنا إلى وادي سوات كنتُ متفائلة بالمستقبل،

فزرعتُ بذور المانجو في الحديقة خلال شهر رمضان لأنها الفاكهة المفضلة للأكل بعد الإفطار.

إلا أن أبي كان يواجه مشكلة وهي أننا في الفترة التي كنا فيها نازحين ظلت المدارس مغلقة ولم يقدّم أبي بتجميع أية أموال وأن المدرسين ظلوا يتوقعون دفع رواتبهم والتي تجاوزت نحو المليون روبية. جميع المدارس الخاصة كانت تعاني من ذات المشكلة باستثناء مدرسة واحدة فقط قامت بدفع رواتب مدرسيها لشهر واحد أما معظم المدارس فلم تدرّج ماذا تفعل حيث لم يكن في استطاعتها دفع رواتب مدرسيها. المعلمون في مدرسة خوشالطالبوا برواتبهم حيث كانت لهم منصرفاتهم الخاصة. أرادت إحدى المدرسات وتسمى السيدة هيرا إتمام مراسم زواجها وكانت تعول على راتبها في إقامة حفل الزفاف.

وجد أبي نفسه في موقف حرج، وكل ذلك كان بسبب العمليات التي قام بها الجيش لطرده طالبان فكان حتماً علينا أن نغادر سوات فوجدنا أنفسنا في الوضع الذي نحن عليه. عندها تذكرنا اللواء عباس وبطاقته التعريفية فقامت السيدة مريم بكتابة رسالة بريد إلكتروني إلى اللواء عباس لشرح الوضع. فكان عطوفاً حيث قام بإرسال مبلغ 1.100.000 روبية ومن ثم استطاع أبي أن يدفع ويأثر رجعي راتب ثلاثة أشهر لكل مدرس. غمرت السعادة المدرسين حيث أن معظمهم لم يسبق له أن استلم مبالغ كبيرة دفعة واحدة. خاطبت السيدة هيرا أبي وهي تزرف دمعاً ممتنةً بأن زواجها سيتم كما كان مخطط له.

لقد كنا غاضبين على الجيش بسبب فشله في القبض على قادة طالبان، وما قام به اللواء عباس من دعم مادي لم يغير وجهة نظرنا في الجيش. واصلت مع أبي في مقابلة الناسوكثيراً ما كان ينضم إلينا زاهد خان وهو صديق لأبي

وعضو وزميل في جمعية سوات القومية وهو كذلك رئيس لجمعية فنادق سوات ولذلك كان متحمساً بصفة خاصة لعودة الحياة لوضعها الطبيعي والذي مكن السياح من العودة.

كان زاهد خان، مثل والدي صريحاً وسبق له أن تعرض للتهديد كذلك. في إحدى ليالي شهر نوفمبر من العام 2009 نجا من الموت بعد تعرضه لكمين عندما كان عائداً في وقت متأخر من إجتماع في مقر قيادة الجيش ضم مسؤولي الجيش، ولحسن الحظ كان العديد من أقاربه يعيشون في ذات المنطقة استطاعوا أن يتبادلوا إطلاق النار مع المهاجمين حتى أجبروهم على الفرار.

بعد ذلك وتحديداً في الأول من ديسمبر من العام 2009 وقع هجوم انتحاري على الدكتور شمشير علي خان وهو أحد سياسي حزب عوامي الوطني وعضو جمعية خيبر باختوخان، كان صريحاً في إنتقاد طالبان. تم الإعتداء عليه عندما كان يستقبل أصدقائه والناخبين بمناسبة العيد في حجرته التي تبعد مسافة ميل فقط من دار الامام التي كان يقع فيها مقر فضل الله. مات الدكتور على الفور بينما أُصيب تسعة آخرين ووجدت الشرطة أرجله وأجزاء من جسده. قال الناس أن الانتحاري كان في الثامنة عشر من عمره .

بعد بضعة أسابيع طُلب من مدرستنا المشاركة في جمعية سوات للطفل والتي تم إنشاؤها من قبل جمعية اليونيسف الخيرية ومؤسسة خابال خور للأيتام (وطني). أُختير ستون طالباً كأعضاء من جميع منطقة سوات كان معظمهم من الفتيان مع أن إحدى عشرة فتاة من مدرستنا شاركن. عقد أول إجتماع في قاعة مع الكثير من السياسيين والنشطاء. عقدنا إنتخابات لإختيار المتحدث ففزتُ بذلك المنصب. كان غريباً عليّ أن أفق فوق المنصة ويخاطبني الناس

باعتباري السيدة المتحدثة. لكنه كان شعوراً جيداً أن يُسمع صوتي. تم إختيار الجمعية لمدة عام وكانت إجتماعاتنا شهرية. مررنا تسعة قرارات تنادي بإنهاء عمل الأطفال كما طالبنا بالمساعدة في إرسال المعاقين والمشردين من الأطفال إلى المدرسة فضلاً عن إعادة تأهيل المدارس التي تم تدميرها من قبل طالبان. بعد إن تم التوافق على القرارات أرسلت إلى المسؤولين فلم تمضي أيام قليلة حتى تم تنفيذ تلك القرارات.

بدأت مع صديقتي مونييا وعائشة نتعلم عن الصحافة من مؤسسة بريطانية تسمى (معهد صحافة الحرب والسلام) التي تدير مشروع يسمى (تعلموا ووسعوا أفقكم أيها الباكستانيون). كانت الصحافيات ممتعاً يتعلق بكيفية نقل القضايا بصورة صحيحة فأصبحت مهتمة بالصحافة ومشاهدة أقرص الفيديو الرقمية للمسلسل الكوميدي الأمريكي "بتي القبيحة" حول الحياة في مجلة أمريكية، أيقنتُ كيف يمكن لكلماتي أن تحدث الفارق. كان إختلافاً بسيطاً عندما نكتب عن مواضيع قريبة لقلوبنا مثل التطرف وطلبان بدلاً عن الكتابة حول الملابس وتسريحات الشعر.

إقترب عام آخر من الامتحانات، تغلبتُ فيها على ملكة بنت نور في الحصول على المركز الأول مرة أخرى رغم أنها كانت قريبة مني في ترتيب نتائج الطالبات في الصف . حاولت المديرية إقناع ملكة بأن تكون طالبة مثالية ومشاركة في المدرسة إلا أن ملكة ذكرت أنها لن تفعل أي شئ يمكن أن يصرفها عن دراستها فقالت لها السيدة مريم " يجب أن تكوني مثل مالالا وتقومى بأعمال أخرى لا تقل أهمية عن تعليمك، العمل ليس كل شئ ". لكنني لم ألمها فقد كانت تريد إسعاد والديها خاصة أمها.

لم تكن سوات كما كانت من قبل - و ربما لن تكون كذلك - لكنها عادت إلى طبيعتها، حتى بعض راقصات "بان بازار" رجعنَ للرقص بالرغم من أنهن صنعن أقراص الفيديو الرقمية لبيعها بدلاً من الرقص المباشر. لقد إستمتعنا بفعاليات سلام ممزوج برقص وموسيقى لم تكن مسموعة تحت حكم طالبان. نظم أبي أحد المهرجانات في مارجهازار إستمرت فيها الموسيقى ليالٍ طويلة وقدم الدعوة لأولئك الذين استضافوا النازحين في المناطق السفلى لتقديم الشكر والإمتنان.

بدأت الأحداث وأحياناً لتصادف يوم ميلادي وتصادف شهر يوليو من العام ٢٠١٠ والذي بلغت فيه الثالثة عشر من عمري فهطلت الأمطار في سوات. لم تكن لدينا رياحاً موسمية فكنا سعداء بذلك طانين أن هطول الأمطار يعني وجود موسماً جيداً للحصاد. إلا أنها كانت غزيرة وخطيرة حتى أنك لا تكاد ترى الشخص الذي يقف أمامك . وكان خبراء البيئة قد حذروا بأن طالبان ومهربي الأخشاب أقتلعوا الأشجار من فوق الجبال فاجتاحت الفيضانات الطينية الوديان فأزلت كل شئ في طريقها .

عندما بدأت الفيضانات كنا في المدرسة فطلب منا أن نغادر المدرسة إلى بيوتنا إلا أن المياه كانت كثيرة وأن الجسر الذي يربط بين المناطق غمرته المياه فكان علينا أن نجد طريق آخر. سلطنا طريق آخر إلا أننا وجدنا أن المياه غمرته كذلك فأضطررنا لخوض المياه لكي نعبّر الجسر والتي كانت رائحته كريهة. في النهاية وصلنا إلى المنزل ونحن مبللين وملابسا متسخة.

في اليوم التالي سمعنا أن المدرسة كذلك غمرتها المياه. إنتظرنا أياماً حتى تجف المياه. عندما عدنا إلى المدرسة رأينا علامات مد وجزر الفيضان على الجدران. فكانت آثار الطين في كل مكان. حتى مقاعد الدراسة والكراسي

غطاها الطين و كانت رائحة الصف مقززة. أحدثت الفيضانات أضراراً بليغة كلفت أبي مبلغ 90.000 روبية لإصلاح المدرسة وهو ما يعادل الرسوم الشهرية لعدد تسعين طالباً .

كانت ذات القصة في جميع أنحاء باكستان. كان نهر الأندوس العظيم الذي ينبع من جبال الهملايا وينحدر عبر منطقة البشتون والبنجاب في اتجاه كراتشي وبحر العرب، والذي كنا نفتخر به كثيراً، قد تحول إلى سيل جار فطحت ضفافه، فجرفت المياه الطرق والمحاصيل بل اجتاحت قرى بأكملها. نحو 2000 شخص غمرتهم المياه وأربعة عشر مليون شخص تضرروا. فقد الكثير منهم منازلهم. 7000 مدرسة كانت قد تدمرت تماماً. لقد كان من أسوأ الفيضانات في الذاكرة الحية. أطلق السيد بان كي مون الأمين العام للأمم المتحدة على تلك الفيضانات إسم "تسونامي بطي الحركة". علمنا أن الأرواح التي تأثرت، والأضرار التي حدثت بسبب الفيضانات فاقت كلاً من تسونامي آسيا، الزلزال الذي ضرب باكستان في العام 2005، إعصار كاترينا و زلزال هايتي مجتمعة.

كانت سوات أكثر المناطق تأثراً. جرفت المياه أربعة وثلاثين جسراً من أصل اثنين وأربعين، أنقطع التواصل بين أكثر مناطق الوادي، تحطمت أعمدة الكهرباء فعشنا في ظلام دامس. كان طريق الوادي فوق تلة لذلك كنا أفضل حماية من مناطق فيضان النهر الذي كنا نرتعد بسماع صوت هديره و كأنه تنيناً هائجاً يلتهم كل شئ في طريقه. تدمرت جميع الفنادق الساحلية والمطاعم التي كان يرتادها السياح لتناول أسماك السلمون والتمتع بالمناظر. كانت المناطق السياحية أكثر المناطق تضرراً في سوات. تحطمت منتجعات مركز

التل مثل " ملام جابا، ماديان، والبحرين " فنادقها ومحلاتها أصبحت حطاماً .

بعد الفيضانات بقليل سمعنا من أقارب لنا أن الأضرار التي أصابت منطقة " شانقلا" كانت خيالية فقد جرفت المياه الطريق الرئيسي المؤدي من " البوري عاصمة شانقلا" إلى قريتنا. غمرت المياه قرى بأكملها، جرفت الانهيارات الطينية الكثير من المنازل التي كانت تقع فوق المدرجات الجبلية لمناطق كارشات، شابور و باركانا. منزل عائلة أمي والذي كان يعيش فيه خالي فائز محمد ظل صامداً إلا أن الطريق المؤدي إليه تلاشى تماماً .

حاول الناس أن يحافظوا على ما تبقى لهم من ممتلكات، فقاموا بنقل الحيوانات إلى مناطق مرتفعة. إلا أن الفيضانات روت الذرة التي كانوا قد حصدها وحطمت البساتين وأغرقت الكثير من الجواميس. كان سكان القرية عاجزين لا حول لهم ولا قوة، ليس لديهم طاقة حيث تحطمت جميع المشاريع الكهرومائية المؤقتة، لم تكن لديهم مياه نظيفة حيث أن النهر أصبح لونه أسمر بسبب الأنقاض والطيني. كانت قوة المياه شديدة حتى المباني الخرسانية تحولت إلى حطام. سويت جميع المدارس، المستشفيات ومحطات الكهرباء على الأرض.

لم يستطع أحد أن يفهم كيف حدث ذلك. لقد عاش الناس على ضفاف النهر 300 سنة وكانوا ينظرون إليه كشريان للحياة وليس مهدداً لها، كما كانوا ينظرون للوادي كملاذ من العالم الخارجي . قال إين عمي سلطان روم " أصبحنا وادي الأحزان " بدأنا بالزلزال ثم طالبان ثم العمليات العسكرية والآن ما أن بدأنا بإعادة الإعمار، جاءت الفيضانات المدمرة لتعصف ما قمنا به.

كان الناس في أشد القلق من أن تقوم طالبان بإستغلال حالة الفوضى وتعود لوادى سوات مرة أخرى .

أرسل والدي مساعدات وغذاء إلى " شانقلا" من الأموال التي جمعها بواسطة الأصدقاء وجمعية سوات للمدارس الخاصة. حضرتُ مع صديقتي شيزا وبعض النشطاء الذين إلتقيناهم في إسلام آباد، إلى " منقورا" ووزعنا بعض الأموال. كان المتطوعون من الجماعات الإسلامية أول من وصل بالمساعدات إلى المناطق النائية والمعزولة مثلما كان أثناء فترة وقوع الزلازل. قال البعض أن الفيضانات كانت توبيخاً من الله سبحانه وتعالى بسبب حفلات الموسيقى والرقص التي إستمتعنا بها في المهرجانات الأخيرة، إلا أن عزانا في ذلك الزمن أنه لم يكن هناك راديو حتى ينشر هذه الرسالة.

في ظل إستمرار معاناة الناس ما بين مطرقة فقدان الأحباب وسندان فقدان المنازل والمعاش، كان رئيسنا عاصف زاردار في عطلة في مدينة جاتوا في فرنسا. قلت لأبي " أنا حائرة ماذا يمنع كل واحد من السياسيين من فعل هذه الاعمال الجيدة؟" لماذا لا يريدون أن يعيش شعبنا آمن له قوت وكهرباء؟.

قام الجيش - من بعد الجماعات الإسلامية - بتقديم المساعدات الاساسية لم يكن جيشنا فقط، فأرسلت أمريكا كذلك طائرات هيلوكوبتر جعلت بعض الناس متشككين في نوايا أمريكا. بينما كانت هناك مجموعة ترى أن الدمار الذي حدث كان بسبب الأمريكيين وذلك بإستخدامتكنولوجيا(برنامج البحث الشفقي النشط في مجال التردد) والذي سبب أمواجاً ضخمة تحت المحيط تسببت في إغراق أرضنا. ومن ثم وجدت أمريكا زريعة إدخال المساعدات إستطاعوا أن يدخوا - وبطريقة غير شرعية - باكستان ويتجسسوا على جميع أسرارنا.

ظلت الحياة صعبة للغاية حتى مع توقف الأمطار، فلم تكن لدينا مياه نظيفة ولا كهرباء، وشهد شهر أغسطس ظهور أول حالة من مرض الكوليرا في مدينة " مينقورا"، فكانت هناك خيمة خارج المستشفى للمرضى المصابين. بسبب أننا كنا معزولين عن طرق الإمداد فإن القليل من الطعام الذي كان متوفراً كان بأسعار مرتفعة. كان موسم الخوخ والبصل إلا أن المزارعين يئسوا في إنقاذ محاصيلهم، بل أن العديد منهم ركب البحر في رحلات خطيرة فعبروا بقوارب مصنوعة من إطارات مطاطية محاولة منهم في إدخال منتجاتهم السوق كنا سعداء جداً عندما وجدنا خوفاً معروضاً للبيع.

كانت المساعدات الخارجية أقل من تلك التي كانت موجودة من قبلولربما كانت الدول الغربية الغنية تعاني الأزمة العالمية الإقتصادية كما أن رحلات الرئيس عاصم زارداري حول أوروبا جعلت الأوربيين أقل تعاطفاً، فأشارت الدول الغربية إلى أن معظم السياسيين عندنا لم يقوموا بدفع أي طريبة دخل، لذلك لم يكن من السهل على أولئك السياسيين المطالبة دافعي الضرائب في بلدانهم من المساهمة. كما أن وكالات العون الأجنبية كانت قلقة بسبب سلامة موظفيها بعد أن طالب المتحدث بأسم طالبان الحكومة الباكستانية برفض مساعدات اليهود والنصارى. أيقن الجميع أنهم كانوا جادين في ذلك ففي أكتوبر الماضي تم تفجير مكتب برنامج الغذاء العالمي في باكستان مما أدى إلى قتل خمسة من عمال الإغاثة .

بدأنا نرى كثير من الدلالات التي تؤكد حقيقة أن طالبان لم تغادر وادي سوات، فتم تفجير مدرستين أخريين، كما تم إختطاف ثلاثة من عمال الإغاثة الأجانب من المجموعات المسيحية أثناء عودتهم إلى قاعدتهم في منقورا ومن ثم تم قتلهم. كما إستقبلنا أخبار مروعة أخرى فقد تم إغتيال

الدكتور محمد فاروق وهو صديق أبي و نائب مدير جامعة سوات و الذي تم إغتياله من قبل مسلحين إقتحما مكتبه. كان الدكتور عالم إسلامي وعضو سابق في حزب الجماعة الإسلامية وكان أحد أكبر الأصوات المناهضة لطالبان حتى أنه أصدر فتوى ضد العمليات الإنتحارية .

لقد شعرنا بالإحباط والخوف مرة أخرى. عندما كنا نازحين كنا نفكر في أن نصبح سياسيين. والآنأدركنا أنه كان خياراً صحيحاً، فكانت لبلادنا الكثير من الإزمات ليس لدينا قادة حقيقيين لمعالجتها .

دعائي لأن أكون طويلة القامة

عندما بلغت الثالثة عشرة من عمري توقف نمو طول قامتي، فكنت أبدو دائماً أكبر من عمري، وفجأة أصبحت جميع صديقاتي أطول مني قامةً . لقد كنت إحدى أقصر ثلاث فتيات في الصف البالغ عدده ثلاثين فتاة. كنتُ أشعر بالحرج عندما أكون مع صديقاتي. كنت أدعو الله كثيراً في كل ليلةٍ لأن أكون طويلة. كنت أقيس طولي في غرفتي بالمسطرة وقلم الرصاص وكنتُ أقف كل صباح على مقاس طولي لأتحقق فيما إذا زاد طولي أم لا، إلا أن مؤشر القلم وقف بعنادٍ على الخمسة أقدام. حتى أنني نذرتُ لله نذراً إن زاد طول قامتي ولو زيادة صغيرة سأصلي مائة ركعة نفل زيادة على الصلوات التطوعية فوق الصلوات الخمس اليومية.

لقد تحدثت في كثير من الفعاليات بيد أنني كنتُ قصيرةً فلم يكن من السهل أن أكون مؤثرة في من يسمعونني. في بعض الأحيان كان من الصعب أن أنظر فوق المنصة. لم أكن أحب لبس الأحذية ذات الكعب العالي لكنني بدأت ألبسها .

لم تعد إحدى فتيات صفي إلى المدرسة في تلك السنة، حيث أنها تزوجت بمجرد دخولها سن البلوغ و كانت تبدو أكبر من عمرها رغم أنها كانت لا تزال فقط في الثالثة عشر من عمرها. بعد حين سمعنا أن لديها طفلين. كنتُ أستغرق في أحلام اليغظة وأنا داخل الصف أثناء شرح دروس المعادلات الهيدروكربونية وكنتُ أسأل نفسي ماذا سيكون فيما لو تركتُ مقاعد الدراسة وبدلاً عن ذلك بدأت رحلة البحث عن زوج .

لقد بدأنا نفكر في أشياء أخر بجانب طالبان التي لم يكن من الممكن نسيانها تماماً. كانت لجيشنا العديد من الأعمال التجارية الجانبية الغربية مثل المصانع التي تقوم بإنتاج الأسمدة ورقائق الذرة. عادت تلك المصانع لإنتاج صابون أوبرا. تسمرناس على شاشات تلفزيونية في أوقات الذروة لمشاهدة برنامج تلفزيوني يسمى " ما وراء نداء الواجب" والذي كان من المفترض أن يحتوى على قصص لواقع حياة جنود متشددين يقاتلون في سوات .

قُتل أكثر من مائة عسكري، وجرح أكثر من 900 في العمليات العسكرية أراد أولئك أن يظهروا أنفسهم كأبطال. كان من المفترض أن تكلل تضحياتهم بإستعادة سيطرة الحكومة، إلا أننا ظللنا في إنتظار حكم القانون. في معظم الأوقات التي كنتُ أعود فيها من المدرسة إلى البيت كنتُ أجدنساء في منزلنا يجهنش بالبكاء، حيث فُقد مئات الرجال أثناء الحملات العسكرية والذين من المحتمل أن يكون قد تم أخذهم من قبل الجيش أو الإستخبارات الداخلية و لا أحد يستطيع أن يقول ذلك. فالنساء لم يعلمن شيئاً ولم يدرين فيما إذا كان أزواجهن وأبنائهن ماتوا أم هم على قيد الحياة. كانت بعضهن في حالة يائسة حيث لم يجدن سبيلاً للإطمئنان. فالمرأة تستطيع أن تتزوج للمرة الثانية إن أُعلنت وفاة زوجها أولم يكن في عداد المفقودين. قامت أمي بتقديم الشاي والطعام إلا أنهم لم يأتين لذلك. فقد أردن مساعدة أبي بسبب دوره كمتحدث باسم جمعية سوات القومية، وكان يعمل كحلقة تواصل بين الناس والجيش.

كانتقول إحدى النساء اللاتي قابلتهن: " أريد فقط أن أعلم إن كان زوجي قد مات أم لا؟"، "لوكان قتلوه سأضع أولادي في دار الأيتام" فأنا الآن لست بأرملة ولا متزوجة. قالت لي إمراة أخرى أن ابنها كان في عداد المفقودين وأن المفقودين لم يتعاونوا مع طالبان فلربما أعطوهم كوبا من الماء أو الخبز

عندما أمرهم بذلك. و إن أولئك الأبرياء ظلوا محتجزين بينما قادة طالبان كانوا أحراراً .

كانت هناك معلمة في مدرستنا تعيش على بعد مسافة لا تتجاوز العشرة دقائق مشياً على الأقدام من منزلنا. إقتاد الجيش أخيها بعد أن وضعوا القيود الحديدية على رجليه وعذبه ومن ثم وضعوه في ثلاجة حتى مات، لم يكن ليفعل شيئاً مع طالبان، فقد كان مجرد صاحب متجر بسيط، بعد ذلك إعتذر الجيش للمعلمة وذكروا لها أنهم أخطأوا في اسمه وتم القبض عليه خطأً.

لم تكن النساء الفقيرات فقط هن اللاتي جئن إلى منزلنا، ففي أحد الأيام جاء أحد رجال الأعمال من مدينة مسقط إحدى مدن دول الخليج، فذكر لأبي أن أخيه وخمس أو ست من أبناء أخيه أختفوا، وهو يريد أن يعرف فيما إذا كانوا قد قُتلوا أو تم إعتقالهم حتى يقوم بالبحث عن أزواج جدد لزوجاتهم. كان أحدهم مولانا فتمكن أبي من الإفراج عنه.

لم يكن هذا فقط ما يحدث في سوات، فقد سمعنا عن آلاف المفقودين في جميع أنحاء باكستان. تظاهر الكثير من الناس خارج المحكمة ورفعوا ملصقات مفقودهم إلا أنهم لم يحصلوا علي شيء. في ذلك الأثناء كانت محاكمنا مشغولة بمسائل أخريفلدينا في باكستانما يسمى " قانون الكفر " والذي يحمى القرآن الكريم من أي تدنيس أو إنتهاك. كان القانون أكثر صرامة في إطار حملة الجنرال ضياء الاسلامية، ولذلك يمكن أن يُعاقب بالموت أو السجن المؤبد أي شخص يدنس الأسماء المقدسة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وفي ذات يوم من شهر نوفمبر من العام 2010 تحدث تقرير إخباري عن امرأة مسيحية تسمى " آسيا بيبي " والتي كان قد حُكم عليها بالإعدام شنقاً حتى الموت. كانت أم فقيرة لخمسة أطفال تعيش على جمع الفاكهة في إحدى قرى البنجاب. كانت آسيا بيبي قد قدمت - في يوم حار - ماء البعبعض زملاءها العمال إلا أنهم رفضوا أن يشربوها بحجة أن الماء نجس لأن آسيا بيبي مسيحية. كانوا يعتقدون بأنهم كمسلمين سيدنسوا بالشرب معها. كانت إحداهم امرأة جارة لآسيا بيبي وكانت غاضبة عليها فقالت أن ما عر آسيا أتلف حوض ماء ملوك لها. إنتهى بهم المطاف إلى جدال وبالطبع كان كجدالنا في المدرسة فتعددت الروايات. كانت إحدى الروايات تقول أنهم حاولوا إقناع آسيا بيبي بإعتناق الإسلام، فأجابت قائلةً " لقد مات المسيح من أجل خطايا المسيحيين وتساءلت ماذا فعل الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل المسلمين؟ " قام أحد جامعي الفواكه بإبلاغ الأمام المحلي عنها والذي قام بدوره بإخبار الشرطة. قضت آسيا بيبي أكثر من عام في السجن قبل أن تحال قضيتها إلى المحكمة والتي حكمت عليها بالقتل .

أصبحنا نمتلك عدداً من القنوات الفضائية بعد أن سمح مشرف بالقنوات الفضائية التلفزيونية، فاستطعنا أن نشاهد هذه الأحداث عبر شاشات التلفزيون فغطت البرامج الحوارية قضية آسيا بيبي. كان هناك غضب حول العالم حول القضية فكان سلمان تاسير - حاكم البنجاب - أحد القلائل الذين تحدثوا عن قضية آسيا بيبي في باكستان. كان سجيناً سياسياً وحليفاً وثيقاً لبنازير بوتو وفي وقت لاحق أصبح قطب إعلامي ثري. ذهب لزيارة آسيا بيبي في السجن وقال أنه يجب على الرئيس زرداري أن يعفو عنها. كما سمي قانون الكفر بالقانون الأسود، وهي عبارة تكررت من بعض مذيعي التلفزيون لتحريك

الأمر. شجب بعض أئمة المساجد في روالبيندي في صلاة الجمعة الحاكم سلمان تاسير.

لم تمضي سوى بضعة أيام وتحديداً في الرابع من يناير من العام 2011 أُغتيل سلمان تاسير عن طريق حارسه الشخصي بعد الغداء في منطقة المقاهي العصرية في إسلام آباد. أطلق عليه القاتل ستة وعشرين رصاصة وذكر أن القاتل فعل ذلك لله سبحانه وتعالى بعد أن سمع خطبة الجمعة في مسجد روالبيندي. لقد صدمنا بعدد الناس الذين أشادوا بالقاتل عندما ظهر في المحكمة حتى المحامين قدموا له باقات من الورد. في هذا الأثناء رفض الإمام في مسجد الوالي الأخير أداء صلاة الجنازة، كما لم يحضر الرئيس مراسم الدفن. صار بلدنا على وشك الجنون. كيف صار ذلك أصبحنا ممجدين للقتلة؟.

بعد فترة وجيزة تلقى أبي تهديداً بالقتل. وكان قد تحدثني إحتفال إحياء الذكرى الثالثة لتفجير مدرسة حاجي بابا الثانوية. تحدثت أبي في الإحتفال بحماس فقال " إن فضل الله هو زعيم كل الشياطين!" ثم صاح قائلاً لماذا لم يتم القبض عليه؟. بعد ذلك نصحه الناس أن يكون حذراً. من بعدها أتت رسالة إلى منزلنا معنونة إلى أبي بدأت بالآتي:

"السلام عليكم (لا أنه لم يكن سلاماً) واستمرت الرسالة ... أنت ابن رجل دين لكنك لست بمسلم جيد، سيصل إليك المجاهدون أينما ذهبت". بدأ أبي عندما تسلم الرسالة قلقاً لبضعة أسابيع، لكنه رفض أن يتخلى عن أنشطته وسريعاً ما صرف إنتباهه نحو أشياء أخرى .

في تلك الأيام بدأ الكل يتحدث عن أمريكا. كنا قد إعتدنا إلقاء اللوم على عدونا القديم الهند في كل شئ لكن العدو الآن هو أمريكا. إشتكى الكل عن هجمات الطائرات من دون طيار التي كانت تشنها أمريكا أسبوعياً على منطقة القبائل. سمعنا عن الكثير من المدنيين الذين قُتلوا. من بعدها أطلق ممثل المخابرات الأمريكية والذي يدعى رايمون ديفيس أطلق النار على رجلين كانا يقودان دراجة إقتربا من سيارته في لاهور. ذكر أنهما حاولا سرقة. زعم الأمريكان أنه ليس من المخابرات الأمريكية لكنه دبلوماسي عادياً لا أن الكل شكك في ذلك. حتى نحن أطفال المدارس نعلم أن الدبلوماسيين العاديين لا يقودون سيارات بدون لوحات حاملين مسدسات جلوك .

إدعى إعلامنا أن ديفيس كان جزءاً من جيش سري كبير أرسلته المخابرات الأمريكية إلى باكستان لأنهم لا يثقون في المخابرات الباكستانية. قيل أنه أرسل ليتجسس على جماعات متشددة تسمى " لشكر طيبة " تقع في لاهور كانت قد قدمت الكثير من المساعدات لشعبنا أثناء الزلازل والفيضانات. وكان يُعتقد أنهم وراء مذبحة بومباي الفظيعة التي وقعت في العام 2008 وكان الهدف الرئيسي للجماعة هو تحرير مسلمي كشمير من الحكم الهندي إلا أنها في الآونة الأخيرة أصبحت فعلة في أفغانستان. قال آخرون أن ديفيس كان جاسوس حقيقي على أسلحتنا النووية.

سرعان ما أصبح ديفيس ريمون أكثر الأمريكيين شهرةً في باكستان. عمت الإحتجاجات جميع أنحاء البلاد وتصور الناس أن جميع المحال التجارية تعج بأمثال ديفيس ريموند لجمع الإستخبارات ومن ثم إعادة إرسالها إلى الولايات المتحدة الأمريكية. بعدها قامت أرملة أحد الرجال الذي إغتالهم ديفيس بتناول سم الفئران وقتلت نفسها يائسة من تحقيق العدالة.

إستغرقت رحلات وفود القيادة العامة للجيش ذهاباً وإياباً بين واشنطن وإسلام آباد أسابيعاً قبل أن تحل المشكلة بنهاية المطاف. وما فعلوه هو مشابه لما يسمى المجالس التقليدية لدينا (جيرقا). دفع الأمريكيان " الدية الشرعية" والتي بلغت 2.3 مليون دولار. أما ديفيس فقد خرج خفية مسرعاً خارج المحكمة ومن ثم غادر الدولة. بعدها طالبت باكستان وكالة المخابرات الأمريكية بإبعاد الكثير من مقاوليها وإيقاف تصديق التأشيرات. تركت القضية برمتها شعوراً سيئاً لدى الناس خاصة بسبب الإحداث التي وقعت في تاريخ 17 مارس وهو اليوم التالي لإطلاق صراح ديفيس، حيث قتلت هجمات الطائرات دون طيار في منطقة مجلس القبائل شمل وزيرستان حوالي اربعين شخصاً. بدأ الهجوم وكأنه رسالة من المخابرات الأمريكية أنها تستطيع أن تعمل ما يحلو لها في بلادنا .

في ذات يوم صادف يوم إثنين، كنت بصدد أن أقيس طول قامتي بجانب الحائط لأري فيما لو زاد طولي عندها سمعت أصواتاً عالية بجانب الباب. أتى صديق أبيضمحل أخباراً لم يكن من السهل تصديقها. قال لنا أنقوات أمريكية خاصة تسمى القوات البحرية نفذت ليلاً غارة في منطقة أبوت آباد وهي إحدى المناطق التي أقمنا فيها كنازحين - وجدوا فيها أسامة بن لادن فقاموا بقتله. كان يعيش بن لادن في مجمع مباني محاط بسور كبير بمسافة تقل عن ميل عن أكاديميتنا العسكرية. لم نكن نتصور أن الجيش كان غافلاً عن مكان وجود بن لادن. أشارت الصحف إلى أنه حتى الطلاب العسكريين قاموا بتدريباتهم في ميدان بجانب منزله. كان للمجمع أسوار على إرتفاع إثنين عشر قدماً تعلوها أسلاك شائكة. عاش بن لادن في الطابق العلوي مع أصغر زوجاته إمراة يمنية تسمى أمل بينما كانت تعيش في الطابق الأسفل زوجته

الآخرتين مع أطفاله الأحد عشر. قال عضو مجلس الشيخ الأمريكي أن الشئ الوحيد المتبقي من مخبا بن لادن هو أن توضع عليه علامة مضاءة.

في الحقيقة أن الكثير من الناس في منطقة البشتون يعيشون في مجتمعات محاطة بالجدران وذلك بسبب لبس النساء للعباءة (خيمة) وبسبب الخصوصية التي تحيط حياتهم. لذلك فالمنزل الذي كان يعيش فيه بن لادن لم يكن غريباً ما كان غريباً هو أن السكان لا يغادرون المنازل نهائياً كما أن المنازل خالية من أيهواتف أو شبكة انترنت. كان أخوا أسامة بن لادن والذانيقيمان في ذات المجمع مع زوجتيهما هما من يجلبان الطعام إلى المنزل، وكانا يعملان كمساعيين لبن لادن والذي كانت إحدى زوجاته من سوات!.

قامت القوات البحرية بإطلاق النار على بن لادن في رأسه فُردته قتيلاً ونقل جسده جواً عن طريق طائرة هيلوكوبتر. لم يبدو أنه قد أبدى أي مقاومة، كذلك قُتل أخوين لادن وأحد أولاده الراشدين، أما زوجاته وأولاده الآخرين فقد تم قيدهم من بعد قتله ومن ثم تم إيداعهم إحدى السجون الباكستانية. ألقى الأمريكان بجثة بن لادن في البحر وكان الرئيس أوباما سعيًا بذلك، وقد رأينا في التلفاز إحتفالات واسعة أُقيمت خارج البيت الأبيض.

إفترضنا بداية أن حكومتنا كانت تعلم وشاركت في العملية الأمريكية، لكن سرعان ما اكتشفنا أن الأمريكيين قاموا بالعملية لوحدهم. لم يرضى شعبنا ذلك التصرف من الأمريكيينفكان من المفترض أن يتحالفوا معنا وقد فقدنا الكثير من الجنود أثناء حربهم ضد الإرهاب أكثر مما فقدوا.

لقد دخلوا الدولة ليلاً مستخدمين طائرات هيلوكوبتر خاصة وهادئة حلق في علوٍ منخفض، اخترقت راداراتنا بتدخلات إلكترونية. وكانوا قد أعلنوا مهمتهم فقط لقائد أركان الجيش الجنرال إشفاق كياني والرئيس زارداري بعد الأحداث أما معظم قادة الجيش فلم يعلموا بذلك إلا من خلال التلفزيون.

قال الأميركيان أنه لم يكن لديهم خياراً سوى أن يفعلوا ما فعلوه بسبب أنه لم يعلموا موقف وكالة الإستخبارات الداخلية وخشيةً من أن يقوم أحد الأشخاص بإبلاغ بن لادن قبل الوصول إليه. قال رئيس وكالة الإستخبارات الأمريكية أن باكستان كانت أمام موقفين فإما أن تكون ضالعة ومشاركة أو تفعا جزة وكلا الموقفين لأحسد عليه.

قال أبي لقد كان يوماً مخزي. وتساءل قائلاً " كيف يمكن لإرهابي مشهور أن يعيش مختبئاً في باكستان ويظل مختفئاً لسنوات عديدة؟ وتساءل آخرون بذات السؤال. يمكنك أن تفهم لماذا يعتقد كل إنسان أنه ينبغي على جهاز الإستخبارات الداخلية أن يعلم مكان بن لادن. فجهاز الإستخبارات مؤسسة كبيرة ولها أكثر من عميل سري في كل مكان. فكيف لبن لادن أن يعيش في مكان قريب من العاصمة لا يبعد سوى ستين ميلاً فقط؟ ولفترة طويلة!. ربما كان أفضل مكان للاختباء أن يكون على مرآى من الناس، لكنه ظل مختبئاً في ذلك البيت منذ وقوع زلزال عام ٢٠٠٥ . حتى أن إثنين من أولاده ولدا في مستشفى أبوت آباد وقد ظل في باكستان لأكثر من تسع سنوات، أما قبل أبوت آباد فقد عاش في هاريبور وقبلها ظل مختبئاً بعيداً في وادي سوات حيث التقى خالد شيخ محمد العقل المدبر لهجمات سبتمبر ٢٠١١.

إن الطريقة التي تم العثور بها على بن لادن كانت أشبه بأفلام التجسس التي يحبها أخي خوشال. لكي يتجنب إكتشافه إستخدم بن لادن أشخاص كُتب بدلاً

عن المكالمات الهاتفية أو رسائل البريد الإلكتروني. إلا أن الأمريكيين اكتشفوا أحد رسله فتتبعوا لوحة سيارته وظلوا يراقبوها من باشور إلى أبوت آباد ومن ثم قاموا بمراقبة المنزل عن طريق طائرات دون طيار عملاقة لديها رؤية الأشعة السينية والتي رصدت رجل طويل القامة ملتحي يركض حول المجمع السكنى أطلقوا عليه أسمالرجل المتحرك.

إنخدع الناس بالمعلومات التي كانت تأتي يومياً لكنهم بدأوا أكثر غضباً على غارة الامريكين أكثر من غضبهم على حقيقة مفادها أن أكبر إرهابي عالمي ظل يعيش على أرضنا. نشرت بعض الصحف روايات أفادت أن الامريكين كانوا قد قتلوا بن لادن قبل سنوات من ذلك وظلوا يحتفظون بجثته في ثلاجة ثم جاءوا وألقوا بجثته في أبوت آباد وتظاهروا بعمل غارة وذلك من أجل إحراج باكستان.

بدأنا في إستقبال رسائل نصية قصيرة تطلب منا الإحتشاد في الشوارع لإظهار دعمنا للجيش. نصت إحدى الرسائل " لقد كنا هناك من أجلكم في الأعوام 1948 ، 1965 ، و 1971 " في إشارة إلى حروبنا الثلاثة مع الهند ". كن معنا الآن وقد تم طعننا في الظهر". بينما كانت هناك رسالة أخرى سخرت من الجيش.

تساءل الناس كيف لنا أن ننفق ستة مليارات من الدولارات سنوياً على الجيش (أكثر مما ننفقه على التعليم بسبعة مرات). كيف إستطاعت أربعة طائرات أمريكية أن تخترق الأجواء الباكستانية من تحت راداراتنا؟ فإن إستطاعوا أن يفعلوا ذلك من سيوقف الهند المجاورة؟ ذكرت إحدى الرسائل "رجاءاً لا تتعقوا! الجيش نائم!". نشرت رسالة أخرى عبارة ساخرة تقول " للبيع .. رادارات

باكستانية مستعلمة..لا تستطيع إكتشاف طائرات الهيلوكوبتر الأمريكية لكنها تلتقط أسلاك التلفزيون بصورة دقيقة " .

تم إستدعاء اللواء كياني واللواء أحمد شوجا باشا قائدا الإستخبارات للإستجواب أمام البرلمان، إلا أن إستجوابهما لم يتم. لقد أهينت دولتنا وأردنا أن نعلم لماذا؟.

لقد علمنا أيضاً أن السياسين الأمريكيين كانوا غاضبين من أن بن لادن ظل مختبئاً بعلم جواسيسنا وطوال تلك الفترة كانوا يعتقدون أنه مختبئاً داخل الكهوف. وادعوا أنه مقابل تعاوننا خلال فترة الثماني سنوات دفعوا لنا مبلغ 20 مليون دولار أو أكثر، وكانوا يتساعلون مع أي طرف كُنَّا نقف؟ شعرتُ في بعض الأحيان كما لو كان كل شيء عن المال، وأن معظم المال ذهب للجيش أما الناس العاديين فلم يتسلموا شيئاً .

بعد بضعة أشهر، وتحديداً في أكتوبر من العام 2011 قال لي أبي أنه تسلم بريد إلكتروني أخطره بأنني أحد الخمسة المرشحين لجائزة السلام الدولية لحقوق الاطفال. وهي مجموعة مناصرة للأطفال مقرها أمستردام. تم ترشيح إسمى من قبل السيد أرجيشوب ديسموند توتو من جنوب أفريقيا والذي كان بطلاً عظيماً مع أبي في مقاومة التمييز العنصري. أُصيب أبي بخيبة أمل عندما خسرتُ الجائزة ولكنى أوضحت له بأنني تحدثتُ عن كل ما قمتُ به، وأنه ليس لدينا منظمات تقوم بأعمال فعلية كما كانت للذين فازوا بالجائزة.

بعد فترة وجيزة، دعاني السيد شهباز شريف رئيس وزراء البنجاب للحديث في إحتفال عيد العلم في مدينة لاهور. وكان شهباز قد أنشأ شبكة كمبيوتر في المدارس الجديدة سماها "مدارس دانيش" وأعطى الطلاب أجهزة كمبيوتر

محمول مجانية حتى أنهم وضعوا صورته علناً سطح شاشات أجهزتهم تظهر صورته مباشرةً عندما يقومون بتشغيل الأجهزة. ولتحفيز الطلاب في جميع المحافظات قام بمنح جائزة نقدية للفتيات والفتيان الذين يحرزون علامات جيدة في الإمتحانات قُدم لي شيكاً بمبلغ نصف مليون روبية (ما يعادل 4.500 دولار) بسبب حملتي من أجل حقوق الفتيات. كنتُ قد ارتديتُ ملابس وردية للاحتفال وكانت المرة الأولى التي تحدثت فيها علانيةً عن تحدينا للوائح طالبان وذهابنا إلى المدارس سراً فقلتُ:

" إنني أعلم أهمية التعليم لأن كتبي وأقلامي أخذت مني عنوة، إلا أن فتيات سواتلسنَ بخائفات من أحد"، لقد واصلنا تعليمنا.

كنتُ في الصف يوم ما فقالت لي زميلاتي: " لقد فزت بجائزة كبيرة ومبلغ نصف مليون روبية!". وكان أبي قد قال لي أن الحكومة منحتني الجائزة الباكستانية الأولى للسلام الوطني. لم أصدق ذلك وتدفق الكثير من الصحفيين إلى المدرسة في ذلك اليوم فجعلوها أستديو أخبار.

كان الإحتفال في العشرين من شهر ديسمبر من العام 2011 في المقر الرئيسي لرئيس الوزراء والذي كان أحد القصور البيضاء الكبيرة التي تقع على تل في نهاية شارع الدستور والذي كنت قد رأيته خلال رحلتي إلى إسلام آباد. بحلول ذلك الوقت كان علي أن أقابل السياسيين. لم أكن قلقة رغم أن أبي حاول ترهيبني بقوله أن رئيس الوزراء جيلاني جاء من عائلة الأولياء. بعد أن قدم لي رئيس الوزراء الجائزة والشيك تقدمت له بقائمة من الطالبات فخبرتني بأننا نريد إعادة بناء مدارسنا وجامعة للفتيات في سوات. كنتُ أعلم بأنه لن يأخذ طلباتي مأخذ الجد لذلك لم ألح في مطالبي. تخيلتُ أنني في يومٍ ما سأكون سياسية وسأحقق مطالبتي.

تقرر أن تُمنح الجائزة سنوياً للأطفال دون الثامنة عشرة من العمر وأن تكون تحت إسم جائزة مالالا تكريماً لي. لاحظتُ أن أبي لم يكن سعيداً بذلك فهو كمعظم البشتون يعتبرونها من قبيل الخرافات. فليس لدينا في باكستان ثقافة تكريم الناس وهم على قيد الحياة بل نقوم بتكريمهم فقط بعد وفاتهم لذلك كانوا يعتقدون أن ذلك فالاً سيئاً .

كنت أعلم أن أمي لم تحب الجوائز لأنها خشيت أن أصبح هدفاً كما أصبحت أكثر شهرة. لم تظهر أمي للجمهور أبداً ، ورفضت حتى التقاط الصور التذكارية. فهي امرأة تقليدية وهذه ثقافة قديمة لأوطاننا، فإن هي خالفت التقاليد سيتحدث الرجال والنساء عليها لا سيما في عائلتنا. لم تقل أبداً أنها ندمت لعمل أبي وما تعهدتُ به. عندما فزتُ بالجائزة قالت: " أنا لا أريد جوائز، أنا أريد أبنتي. أنا لن أستبدل رمشة من رموش عيون أبنتي بكل العالم".

كان نقاش أبي أن كل ما أراده إنشاء مدرسة يتعلم فيها الأطفال. فقال أبي: " لم يكن لدينا خيار سوبالانخراط في السياسة و القيام بحملات التعليم". ثم قال: " إن طموحي فقط هو أن أعلم أبنائي وأمتي بقدرما استطعت. لكن عندما يكون نصف قادتك يكذبون والنصف الآخر يتفاوضون مع طالبان فليس هناك طريق للسير. على المرء أن يتكلم بذلك".

عندما عدتُ إلى البيت بشروني بأن هناك مجموعة من الصحفيين أرادوا إجراء مقابلات صحفية معي في المدرسة. لذلك كان لزاماً علي أن ارتدي ملابس أنيقة. خطر ببالي أولاً أن أرتدي ملابس جميلة، لكن سرعاني ما قررتُ أن أرتدي ملابس أكثر تواضعاً لإجراء المقابلة الصحفية حيث أنني أردت أن أجعل تركيز الناس كل في رسالتي وليس في ملابسي. عندما

وصلت إلى المدرسة رأيت كل صديقاتي يرتدين ملابس عصرية "موضة" فأشرن إلي عندما دخلت وكن قد جمعن مبلغاً من المال وأقمن حفلاً قدمت فيه قطعة كبيرة من الكيك الأبيض كُتب عليها بخط من آيس كريم الشوكولاته عبارة "مزيداً من النجاح". كان أمراً رائعاً أن أرادت صديقاتي أن يشاركنني نجاحي. كنت أعلم أن أياً من زميلاتي في الصف كان يمكنها أن تحقق ما حققتها إذا ما حصلت على دعم والديها. عندما إنتهينا من تناول الكيك نادت السيدة مريم قائلة " الآن يمكنك العودة إلى العمل المدرسي" فالإمتحانات في مارس!.

إلا أن السنة إنتهت برسالة حزينة، فبعد خمسة أيام من حصولي على الجائزة توفيت فجأة خالتي بابو وهي الشقيقة الكبرى لأمي والتي لم تتجاوز حتى الخمسين من عمرها. كانت مريضة بالسكري، شاهدتذات مرة إعلاناً تلفزيونياً عن العلاج المعجزة بواسطة طبيب في لاهور، أقنعت عمي بأن يأخذها للعلاج لم ندري كيف تم علاجها لكنها دخلت في صدمة وتوفيت بعدها. قال أبي أن الطبيب كان دجالاً، وبسبب هذا النوع من الدجل كنا بحاجة إلى الإستمرار في مكافحة الجهل.

بحلول نهاية تلك السنة كنت قد جمعت الكثير من المال فمخني كلاً من رئيس الوزراء، رئيس وزراء البنجاب، ورئيس وزراء حكومتنا خايبير باختونخوا وحكومة السند، 500.000 روبية. أما قائد الجيش المحلي اللواء غلام قمر فقد أعطى مدرستنا مبلغ 100.000 روبية لبناء مختبر علوم ومكتبة. لكن نضالي لم ينته بعد، لقد تذكرتُ دروس تاريخنا التي تعلمنا منها عن الغنائم التي يعود بها الجيش عندما يكسب المعركة، فبدأتُ أرى الجوائز وشهادات

التقدير تشابه ذلك تماماً ، فكانت مجوهرات قليلة لا تحمل معنى أكثر لذلك كان من الضرورة أن أركز في كسب الحرب.

صرف أبي بعض المال لشراء سرير جديد وخزانة كما قام بسداد مبلغ لتكوين طقم أسنان لأمي، وشراء قطعة أرض في شانقلا. قررنا أن نصرف ما تبقى من أموال لمساعدة المحتاجين من الناس. أردت أن أبدأ بتعليم الأساس وقد ظل ذلك في ذهني منذ أن رأيتُ أطفالاً يعملون في جمع جبال من القمامة، ولم تبارح مخيلتي صورة الفئران السوداء التي رأيتها هناك وفتاة ذات شعر متشابك تقوم بفرز القمامة. لقد عقدنا مؤتمراً من إحدى وعشرين فتاة وجعلنا أهم أولوياتنا تعليم كل فتاة في سوات مع تركيز خاص على أطفال الشوارع والذين يقومون بتشغيل الأطفال.

عند عبورنا لممر مالاكاند رأيت فتاة صغيرة تبيع برتقالاً، كانت تحاول أن ترسم وتضع علامات بقلم رصاص على قطعة ورق صغيرة، لتحسب عدد البرتقالات التي قامت ببيعها حيث أنها لا تستطيع أن تكتب أو تقرأ. إنقطت لها صورة ونذرتُ بأن أعمل كل ما في وسعي لمساعدة تعليم أمثال تلك الفتاة. وكانت تلك هي الحرب التي بدأتُقاتل من أجلها.

المرأة والبحر

كانت عمتي نجمة غارقةً في دموعها. وهي لم ترى البحر من قبل. أما أنا فقد كنتُ جالسةً مع أسرتي على الصخور نحدق فوق المياه، ننتفس رائحةً ملحبحر العرب والذي كان في حد ذاته مدى واسعاً لا يعرف أحد أين سينتهي؟. كنتُ سعيدةً في تلك اللحظة، فقلت: " في يوم ما أريد أن أعبّر هذا البحر!"، فقالت عمتي: ماذا تقولين ؟ وكأنني أتحدث عن شيء مستحيل. حاولت أن أستوعب حقيقة عمتي التي ظلت تعيش في مدينة كراتشي الساحلية لثلاثين عاماً، ولم تملأ عينيها قط من المحيط. لم يأخذها زوجها يوماً إلى الشاطئ، ولو قدر لها أن تخرج من المنزل بطريقة أو بأخرى فلن تكون قادرة على تتبع لافتات البحر لأنها لاتستطع أن تقرأ.

لقد جلست على الصخور وظللتُ أفكر في حقيقة، أن في الجانب الآخر من البحر كانت هناك بلاد عاشت فيها نساء أحرار. فكان لدينا في باكستان امرأة رئيس للوزراء. أما في إسلام آباد فقد قابلتُ نساء عاملات مثيرات للإعجاب. إلا أن الحقيقة تظل باقية وهي أننا في بلد تعتمد فيهغالبية النساء على الرجال كليةً. كانت مديرة المدرسة السيدة مريم امرأة قوية ومتعلمة، لكنها في مجتمعنا لم تستطع أن تعيش لوحدها وتأتي إلى العمل فكان ينبغي عليها أن تعيش مع زوجها، أخيها أو والديها.

في باكستان، عندما تقول النساء إنهن يردن الإستقلال يعتقد الناس أن ذلك يعني أننا لا نريد أن نطيع آباءنا، أخواننا أو أزواجنا . لكننا لا نقصد ذلك بالطبع بل نعنى أننا نريد أن نملك قراراتنا. نريد أن نكون أحراراً في أن نذهب إلى المدرسة أو العمل وهل نُكر في القرآن أن المرأة ينبغي عليها أن تعتمد على الرجل؟. لم ينزل كلام من السماوات ليخبرنا بأن على كل امرأة أن تصغى للرجل!. عندها دخل عليّ بلي قاطعاً حبل أفكارى وقائلاً : لقد قطعني ملايين الأميال وأنت تفكرينها بـ نيتي فيماذا تفكرين؟ فرددت قائلةً : فقط أفكر في عبور المحيطات يا أبي"، فصاح أخي أتال قائلاً : أنسي كل ذلك! نحن في الشاطئ وأريد أن أذهب لركوب الهجن!.

لقد كان يناير من العام 2012 وكنا ضيوفاً على قناة Geo في كراتشي. أعلنت حكومة السندة بأنهم سيعيدون تسمية مدرسة البنات الثانوية في الشارع الرئيس باسمي تكريماً لي. كان أخي خوشال في مدرسته في أبوت آباد، كنت أنا ووالدي وأخي أتال فقط. أقلعت بنا الطائرة إلى كراتشي وقد كانت المرة الأولى لنا جميعاً فلم يسبق لأي منا ركوب الطائرة. لم تستغرق الرحلة سوى ساعتين مما أثار دهشتنا ولم نصدق حيث كانت الرحلة تستغرق يومين على الأقل عن طريق البص. لاحظنا في الطائرة أن بعض الركاب لم يتعرفوا على مقاعدهم بسبب أنهم لا يستطيعون قراءة أرقام وحروف المقاعد. جلستُ في مقعد بجانب نافذة الطائرة إستطعتُ من خلاله أن أنظر إلى الصحراء والجبال من تحتي. وكلما أمعنا في الاتجاه جنوباً بدت الارض أكثر جفافاً وتدرجياً أختفت خضرة سوات عن أعيننا إلى أن تلاشت تماماً، وعندها أدركتُ لماذا عندما يذهب أهلنا للعمل في كراتشيدائماً يريدون أن يظلوا منغمسين في برودة وادي سوات!

لقد ذهلتُ بأعداد الناس والمنازل والسيارات وأنا في طريقي من المطار إلى الفندق. كراتشي من أكبر المدن في الأرض. لقد كان غريباً علي أن أتصور أنها كانت منفذ لما يقارب الـ 300,000 شخص عند نشأة باكستان. عاش جناح هناك وجعل منها عاصمتنا الأولى، وسرعان ما عُمرت بملايين المسلمين اللاجئين من الهند والمعروفين باسم "مهاجر" والتي تعني "المهاجرين" الذين يتحدثون اللغة الأوردية. بلغ تعدادهم اليوم حوالي عشرين مليون نسمة. وهي تعتبر أكبر مدينة للبشتون في العالم رغم أنها تبعد كثيراً عن أرضنا. يذهب إليها ما يقارب الخمسة إلى سبعة ملايين بشتونياً للعمل.

للأسف أصبحت كراتشي مدينة تُوصف بالعنف وغالباً ما تشهد قتالاً بين المهاجرين والبشتون. رأيتُ منطقة المهاجرين تبدو منظمة ونظيفة للغاية بينما منطقة البشتون كانت متسخة وتعمها الفوضى. يدعم جميع المهاجرين حزبهم المعروف باسم الحركة الوطنية المتحدة والذي يتزعمه أطف حسين والذي يقيم في المنفى في لندن ويتواصل مع أنصاره من خلال الاسكايبي . تعتبر الحركة الوطنية المتحدة حركة منظمة أما مجتمع المهاجرين فهو مجتمع مترابط على النقيض من ذلك نحن كبشتون منقسمين جداً، فالبعض يتبع عمران خان لأنه بشتونياً وزعيم ولاعب كريكيت عظيم. بينما البعض يتبع مولانا فضل الرحمن لأن حزبه "جمعية علماء الإسلام" جمعية إسلامية. والبعض علمانيون يتبعون حزب عوامي الوطني لأنه حزب البشتون الوطني. والبعض الآخر يتبعون حزب الشعب الباكستاني وهو حزب بنازير بوتو أو رابطة مسلمي باكستان بزعامة نواز شريف.

ذهبنا إلى جمعية السندة وقد صفق لي جميع أعضائها. ثم قمنا بزيارة عدد من المدارس كان من بينها إحدى المدارس التي سُميت بأسمي فألقيت

خطاب عن أهمية التعليم. كما تحدثت عن بنازير بوتو باعتبار أن كراتشي كانت مدينة بنازير. فقلت: " يجب أن نعمل سوياً من أجل حقوق الفتيات"، صفق لي الأطفال وغنوا من أجلي وأهديت لي لوحة رُسمت عليها صورتي وأنا أنظر إلى السماء. كان من الغريب والرائع أن أرى أسمى على المدارس تماماً مثل اسم السيدة مالالي مايوند والتي سُميتُ باسمها، وقد حملت العديد من المدارس في أفغانستان اسمها. في عطلة المدارس القادمة خطتُ وأبي أن نذهب إلى المناطق الجبلية في سوات لتتحدث إلى الأباء والأطفال عن أهمية تعلم الكتابة والقراءة، وقد قلت لأبي: " سنكون مثل دعاه التعليم!".

بنهاية ذلك اليوم قمنا بزيارة عمتي وعمي، والذين كانا يعيشان في بيت صغير. عندئذٍ علم أبي لماذا رفضا أن يأخذه ليعيش معهما عندما كان طالباً. في طريقنا مررنا من خلال ساحة "رسول أشجان الألكترونية" وقد صُدمنا ونحن نرى صورة قاتل الوالي سلمان تاسير قد زُينت بالأزهار كما لوكان قديساً، فقال أبي غاضباً: " في مدينة يعيش فيها عشرين مليوناً أليس هناك من أحد ينزل هذه الصورة؟".

مكاناً مهماً كان ينبغي أن يتضمن زيارتنا إلى كراتشي إضافة إلى نزهاتنا في البحر و المحلات الواسعة التي إشتريت منها أمتي الكثير من الملابس. لقد كنا بحاجة إلى زيارة قبر قائدنا العظيم ومؤسس دولتنا محمد علي جناح. إنه مبنى هادئ من الرخام الأبيض يبدو وكأنه منفصلاً عن صخب وضجيج المدينة. أحسننا بقدسيته . كانت بنازير بوتو في طريقها إليه لألقاء أول خطبة لها بعد عودتها إلى باكستان عندما انفجرت الحافلة التي كانت تقلها.

أوضح الحارس أن القبر الرئيسي والموجود أسفل ثريا صينية عملاقة لا يحوي جسمان جناح. فالقبر الحقيقي في الطابق السفلي حيث كان يرقد

بجانب أخته فاطمة التي توفيت في وقت لاحق. بجانب قبره كان قبر أول رئيس وزراء لنا وهو لياقت علي خان والذي أُغتيل.

بعد ذلك ذهبنا لى متحفٍ صغيرٍ في الجانب الخلفي والذي كان يُعرض ربطات عنق بيضاء مقوسة إعتاد جناح أن يطلبها من باريس، بجانب طقم الملابس المفصل في لندن من ثلاث قطع، نوادي الجولف وكذلك صندوق خاص بالسفر يتكون من أدراج بداخلها إثني عشر زوجاً من الأحذية من بينها نوعين من أحذية بروقز الإيطالية المفضلة. غطت الصور جدران المتحف وكان من بينها صورة لباكستان في أيامها الأولى، من خلال وجهه المغمور يمكنك أن ترى ان جناح كان يحتضر. يبدو جسمه وكأنه ورقة رقيقة، إلا أنه في ذات الوقت كان يكتنم سراً. كان جناح يدخن خمسين سيجارة يومياً، وقد مزق مرض التبيي وسرطان الرئة جسده. كان السيد "ماونتباتن" آخر نائب للملك البريطاني للهند، قد وافق على أن الهند ستنفصل بالإستقلال. ثم قال أنه لو كان يعلم أن جناح كان سيموت لتأخر ولما كان هناك باكستان. كما كان متوقع توفى جناح في سبتمبر من العام 1948 بعد مرور عام فقط، ومن ثم وتحديداً بعد ثلاث سنوات بقليل قُتل أول رئيس وزراء لنا. كانت بلادنا سيئة الحظ منذ البداية.

تم عرض البعض من خطابات جناح التي كانت أكثر شهرة، فكانت إحداها عن حياة الناس في جميع الديانات والذين أصبحوا أحراراً للعبادة في باكستان الجديدة. في خطاب آخر تحدثت عن أهمية دور المرأة. أردت أن أرى صور المرأة في حياته إلا أن زوجته كانت مجوسية وقد توفيت صغيرة أما إبنته الوحيدة دينا عاشت في الهند وقد تزوجت من مجوسي. لم تكن تنعم بالعيش

في الأراضي الإسلامية الجديدة وهي تعيش الآن في نيويورك. ولذلك كانت معظم الصور التي وجدتتها تخص أخته فاطمة.

لم يكن من السهل أن أزور ذلك المكان وأقرأ تلك الخطب دون التفكير بأن جناحان سيصاب بخيبة أمل كبيرة في باكستان وربما كان ليقول لم يكن هذا هو البلد الذي أردته. تمنى لنا أن نكون مستقلين، متسامحين عطوفين فيما بيننا. أراد أن يكون كل واحد منا حراً أياً كانت معتقداته.

سألت أبي " هل كان من الأفضل إن لم نستقل وظللنا جزءاً من الهند؟"، وبدأ لي أن قبل ميلاد باكستان كان هناك قتال لانهاية له بين الهندوس والمسلمين. حتى بعد أن أصبحنا دولة مستقلة ظل القتال قائماً. لكن في هذه السانحة بين المهاجرين والبشتون وما بين السنة والشيعة . فبدلاً من أن يُمجد بعضنا بعضاً، تناضل محافظاتنا الأربع من أجل أن تكون كل واحدة مستقلة. فمحافظة السند دائماً مما تتحدث عن انفصال أما بلوشستان تدور فيها حرب مستمرة فالحديث عنها قليل لأنها بعيدة. فهل كل هذا القتال يعني أننا كنا بحاجة لأن نقسم وطننا مرة أخرى؟

عندما غادرنا المتحف كان هناك مجموعة من الفتيان يحملون أعلاماً يتظاهرون في الخارج، وقد أخبروني بأنهم متحدثون بإسم " السيريكي " من جنوب البنجاب وأنهم يريدون انفصال إقليمهم. يبدو أن هناك أشياء من أجلها تقاتل الناس. فإن كان المسيحيون، الهندوس أو اليهود هم أعداؤنا الحقيقيين كما يقول البعض، فلماذا نحن كمسلمين نقاتل بعضنا بعضاً؟. لقد أصبح شعبنا تائهاً ويعتقدون أن همهم الأكبر هو الدفاع عن الإسلام إلا أنهم ضلوا بهؤلاء أمثال طلبان الذين أساءوا تفسير القرآن عمداً. ينبغي أن نفكر في القضايا العملية، فالكثير من شعبنا في وطننا أميون. وكذلك العديد من

النساء ليس لديهن تعليم على الإطلاق. كما أننا نعيش في مكان مُمرت مدارسِه. ليس لدينا إمدادات كهرباء فعلة لا يكاد يمر يوماً دون أن يُقتل باكستانياً واحداً على الأقل.

في أحد الأيام جاءت امرأة تسمى شهلا أنجم إلى الفندق الذي كنا نقيم فيه، كانت صحافية باكستانية تعيش في آلاسكا، أرادت مقابلي بعد أن قرأت وثائق عنا في موقع صحيفة نيويورك تايم. تحدثت معي لفترة وقد لاحظتُ الدموع في عينيها، ثم تحدثت إلى أبي فسألته، هل تعلم يا ضياء الدين أن طالبان قد هددت هذه الفتاة البريئة؟. لم نعلم عن ماذا كانت تتحدث لكنها دخلت موقعاً في الإنترنت وأرثنا في الموقع أن طالبان في ذلك اليوم كانت قد أطلقت تهديداً ضد إمرأتين، "شاد بيجام"، وهي ناشطة في منطقة دير، وشخصي "مالالا". هاتين نشرتا العلمانية ويجب أن نُقتلا. لم آخذ ذلك التهديد محمل الجد فهناك أشياء كثيرة تنتشر في الإنترنت وأعتقد أنه لو كان حقيقة لسمعناه من أي مكان آخر.

إستقبل أبي في ذلك المساء مكاملة من أسرة كانت قد شاركنا في منزلنا خلال الثماني عشرة شهراً الأخيرة حيث كان منزلها قد تسربت إليه المياه والطين خلال الأمطار فكانت لدينا غرفتان إحتياطيتان أقامت فيهما الأسرة بايجار رمزي أما أطفالها فقد كانوا ثلاثة أطفالاً وكانوا يدرسون في مدارسنا مجاناً. أحببنا أن نظل الأسرة معنا حيث كنا نلعب مع أطفالها في السطح لعبة الشرطة واللصوص. أخبرت تلك الأسرة أبي أن الشرطة جاءت إلى المنزل وأرادت أن تعلم فيما إذا كنا قد تلقينا أي تهديد. عندما سمع أبي ذلك إتصل على نائب المشرف والذي سأل أبي ذات السؤال. أما أبي فسأله قائلاً: "لما سؤالك، هل لديك أي معلومة؟" وكان الضابط قد طلب مقابلة أبي عندما نعود

إلى سوات. بعدها كان أبي قلقاً ولم يستطع الإستمتاع بكراتشي. من ثم رأيت أمي وأبي كلاهما منزعجاً. كنت أعلم أن أمي مازالت تظهر حدادها وحرزها على خالتيوكانوا يشعرون بالقلق تجاهي وأنا أستلم العديد من الجوائز، فبدأ لي الأمر أكثر من ذلك فسألتهما: "لماذا أنتما بهذه الحالة، أنتما قلقين بشيء ما لم تخبراني به!". من بعدها أخبراني عن المكالمة التي تلقاها أبي وقد أخذ التهديد محمل الجد. لا أعلم لماذا ولكنكوني أصبحت هدفاً فإن ذلك لم يقلقني. بدأ لي أن كل إنسان يعلم بأنه سيموت يوماً ما، وكان إحساسي ألا أحد يستطيع أن يوقف الموت وليس بمهم أن يأتي الموت من طالبان أو بالسرطان لذا ينبغي أن نعمل ما نود أن نعمله.

قال لي أبي: "ربما يكون من الواجب علينا أن نوقف حملتنا ونذهب في فترة سبات يا بُنيتي" فأجبتة وكيف نفع ذلك يا أبي؟. أنت الذي قلت لو آمنا بشيء أعظم من حياتنا، فإن أصواتنا ستزداد وتقوى حتى ولو لقينا حتفنا، فلا يمكن أن نتبراً من حملتنا!.

طلب الناس مني أن أتحدث في الفعاليات. فكيف لي أن أرفض وأقول أن هناك مشكلة أمنية؟ لم أستطع فعل ذلك لا سيما وأني أفتخر بأني بشتونية. فأبي كان يقول دوماً أن الشجاعة تجري في دماء البشتون.

ما زال القلبمفعماً بعودتنا إلى سوات. عندما ذهب أبي إلى الشرطة أطلعوه على ملف خاص بي. ذكروا له بأنسيرتي لفتت أنظار العالم الداخلي والخارجي. وأن تهديدات طالبان باتت أقرب وأني بحاجة إلى حماية، فعرضوا علينا توفير حراسة شخصية إلا أن أبي عارض ذلك. فالعديد من كبار السن في سوات تم إغتيالهم بالرغم من وجود حراسة شخصية عليهم، كما أن محافظ البنجاب تم إغتياله بواسطة الحارس الشخصي له. إعتقد أبي أن

وجود حراس مسلحين من شأنه ترويع أهالي الطلاب في المدرسة، وما كان يريد أن يشعر الآخرين أنهم في خطر. عندما تلقى أبي تهديدات من قبل كان يقول دائماً: "دعوهم يقتلونني سأقتل وحيداً!". كان أبي قد اقترح أن يرسلني إلى مدرسة داخلية في أبوت أبادمثل أخي خوشال، إلا أنني لم أكن أريد أن اذهب. كذلك إلتقى أبي عقيداً في الجيش المحلي والذي قال له أن وجودي في مبنى كلية في أبوت أباد لن يكون آمناً طالما ظللتُ بعيدة عن الأنظار سيكون الوضع جيداً في سوات. ولذلك عندما عرضت حكومة منطقة البشتون أن أكون سفيرة للسلام قال أبي من الأفضل أن نرفض ذلك.

بدأت في منزلنا أتأكد من إغلاق المنزل ليلاً. وفي مرة قالت أمي لأبي لقد بدأت تحس بالتهديد!" أما أبي فلم يكن سعيداً، وظل يقول لي تأكدي من إسدال ستائر غرفتك في المساء إلا أنني ما كنت أفعل ذلك. قلت لأبي: " هذا وضع غريب عندما كانت هناك طالبان كنا في أمنأما الآن فليس هناك طالبان ونعيش في روع وخوف!" فأجابني أبي " صحيح مالالا، إن طالبان الآن ضدنا نحن على وجه الخصوص أمثالي وأمثالك، الذين يواصلون الحديث جهاراً دون خوف. أما البقية في سوات فهم على ما يرام. فسأنتقي الركشات وأصحاب المحلات يعيشون في أمن، أما طالبان فهي لأناس خاصين ونحن من بينهم.

الجوائز التي فزتُ بها كان لها أثر سلبي. لقد فقدت الكثير في تحصيلي المدرسي، فبعد الإمتحانات التي كانت في شهر مارس ذهبت عني الكأس التي كنتُ قد حصلتُ عليها فأحرزت المركز الثاني.

مفاهيم وأفكار حركة طالبان

لقد كنا في رحلة مدرسية إلى منطقة مارجازار وهي وادي أخضر جميل يهب فيه هواء بارد تتخلله جبال شامخة ويجري فيه بحر كريستال صافي الذي خططنا أن نقضي فيه نزهتنا. كان بجانبه فندق القصر الأبيض والذي يُستخدم لإقامة الوالي في شهر الصيف، من خلال ذلك المشهد، قلت لصديقتي مونييا " دعونا نتظاهر بأنه فيلم الشفق ونحن مصاصي دماء في الغابة ".

لقد كان أبريل من العام 2012، بعد إنتهاء إمتحاناتنا بشهر. كان الجميع في حالة من الراحة والإسترخاء. كنا مجموعة من الفتيات حوالي سبعين فتاة. كان برفقتنا معلمينا ووالدي. كان أبي قد استأجر مركبة صغيرة إلا أنها لم تسعنا، فقامت مع خمسة من الفتيات بالركوب في حافلة المدرسة (ديانا). إلا أنها لم تكن مريحة خاصة وأنا كنا نضعقدور ضخمة من الأرز ومرق الدجاج الذي تم إعداده للرحلة داخل الحافلة. لم تكن المسافة بعيدة فلم تسغرق الرحلة سوى نصف ساعة. كنا خلالها في غاية السعادة نغني الأغاني ونمرح، وكانت مونييا تبدو جميلة وبشرتها ناعمة كالخزف، فسألتها: " أي نوع من الكريم تستعملين؟" فأجابت " ذات الكريم الذي تستعملينه أنت" وكنت أعلم إنها ليست الحقيقة، فقلت لها " إنظري إلى بشرتي فهي غامضة أما بشرتك فليست كذلك".

لقد قمنا بزيارة القصر الأبيض فرأينا المكان الذي كانت تنام فيه الملكة، كما رأينا حدائق الزهور الجميلة. إلا أننا، للأسف، لم نرى غرفة الوالي والتي دمرتها الفيضانات. ركضنا لفترة حول الغابة الخضراء وألتقطنا صور

تذكارية. خضنا مياه البحر وتناثرنا بمياهه، فتلاأت قطراته في الشمس. جلسنا على الصخور لفترة نستمتع لشلالات المياه التي كانت أسفل الصخور البحرية، فعاودت منيبة تنثر على المياه ثانية، فطلبت منها أن تكف عن ذلك وتوسلت لها أني لا أريد أن تبتل ملابسي فخرجت مع فتاتين أخريتين لكنها لم تتوقف، مما جعل الفتاتين تثوران وتتطلبان وضع حداً للمزاح. كانت تلك صورة أخرى من صور الحوار الذي دار بيني ومونيا والذي عكر من صفوي لكن سريعاً ما عدتُ إلى الفرحفصعدنا إلى قمة الصخور حيث كان يتم إعداد الغداء كان عثمان باهي السائق دائماً ما يضحكنا. أما السيدة مريم فقد أحضرت معها أبناً الصغير وابنتها هناء التي لم تتجاوز العامين والتي كانت تبدو كدمية صغيرة إلا أنها كانت مزعجة وكثيرة اللعب. كان الغداء هو الكارثة بعينها فعندما قام الطباخين بوضع قدور الدجاج على النار تبين لهم أن كمية الأكل لا تكفي لعدد الفتيات الكبير. فقاموا بزيادة الطعام ماء من النهر. فقلت: (كان اسوأ طعام رأيته) بينما قالت فتاة أخرى: " إنه طعام مائي ويمكن رؤية السماء من خلال شوربة الدجاج".

كما كان يفعل في جميع رحلاتنا، دعا أبي الجميع قبل المغادرة فوقفنا على صخرة للتعبير عن إنطباعاتنا. توافق الجميع في حديثهم عن مدى سوء الذي كان عليه الطعام. بدأ أبي محرجاً ولم يطل في الحديث.

في اليوم التالي أتى عامل المدرسة إلى منزلنا وهو يحمل الفطور، حليباً، خبز، وبيض، ودوماً كان أبي هو من يقوم بفتح الباب. ينبغي على النساء أن يبقين داخل المنزل ولا يخرجن لفتح الباب في وجود الرجال. أخبر عامل المدرسة أبي أن صاحب المتجر أعطاه رسالة.

عندما قام أبي بقراءتها إصفر وجه قائلاً "يا الله" وقال لأمي: "إنها إشاعة فظيعة ضد مدرستنا". ثم قام بقراءة الرسالة والتي جاءت تحمل الآتي :

(أيها الأخوة المسلمون..)

هناك مدرسة وهي مدرسة خوشالالتي تدار بواسطة منظمة غير حكومية. إن هذه المدرسة ذات سمعة سيئة وسط الناس المتدينين في بلدناولذلك هذه دعوة لإثارة غضب الناس عليها. إن المدرسة مركز للإبتذال والفحش. وإن هدي النبي الكريم صلى الله عليه وسلم كان أنه من رأى منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع ذلك فعليه أن يخبر الآخرين عنه، فإن لم تستطع ذلك عليك أن تعلم أن السوء قد ملأ قلبك. ليس لدى خلاف شخصي ضد مدير المدرسة لكنني أخبركم بما قاله الإسلام. إن هذه المدرسة مركز للإبتذال والفحش وأنهم يأخذون الفتيات في نزعات إلى منتجات مختلفة، فإن لم توقفوا ذلك ستسألون أمام الله يوم القيامة. إذهبوا واسألوا مدير فندق القصر الأبيض سيخبركم ماذا فعلت هولاء الفتيات....)

عندما إنتهى أبي من قراءة الرسالة وضع الورقة وهي مجهولة الاسم وليس عليها توقيع. عندها جلسنا وقد أصابنا الذهول فقال أبي: "إنهم يعلمون ألا أحد سيسأل المدير، فقط سيظن الناس أن شيئاً مزعجاً قدحدث". أكدت أُمي لأبي قائلةً : " نعلم ما حدث هناك وأن الفتيات لم يفعلن أمراً سيئاً".

دعا أبي ابن عمي خانجي لمعرفة فيما لو تم توزيع الرسائل على نحو واسع، فعاد إليه بأخبار سيئة حيث وضعوها في كل مكان على الرغم من أن أصحاب المتاجر تجاهلوا تلك الرسائل ورموها خارج متاجرهم.كذلك كانت هناك ملصقات كبيرة وضعت أمام المساجد تحمل ذات الإتهامات.

في المدرسة كانت زميلاتي مذعورات فسألن أبي قائلات: " لقد قالوا سيئاً عن مدرستنا !"، ماذا سيقول والدينا ؟

جمع أبي جميع الفتيات في فناء المدرسة وسألهن : " لماذا أنتن خائفات؟ هل قمتن بعمل يخالف الإسلام؟ هل قمتن بعمل غير أخلاقي؟ لا فقط قد تتأثرتن بالمياه وأخذتن الصور ولذا فلا تخفن! فهذه ليست سوى إشاعات من أتباع الملا فضل الله، سقطوا جميعهم. فالحق في الإستمتاع بالخضرة، الشلالات، ومظاهر الطبيعة حق مكفول لكن كما يفعل الفتيان.

كان يتحدث أبي منفعلاً كالأسد. كنت أرى في وجهه الخوف والقلق. لم يحضر سوى شخص واحد فقط قام بسحب أخته من المدرسة. كنا نعلم أن تلك لم تكن النهاية. فبعد وقت قصير أخطرنا أن رجلاً من ديار إسماعيل خان جاء عبر مينجورا وكان قد أكمل مسيرة السلام في تلك الديار. وأردنا أن نرحب به فذهبت مع والدي وعندما إقترينا منه، فإذا برجل مذعور كان يتحدث مستخدماً هاتفين محمولين مختلفين حذرنا قائلاً: " لا تذهبوا من ذلك الطريق فهناك تفجير إنتحاري". وبما أننا تعهدنا بمقابلة (رجل السلام) فقد سلكتنا طريقاً آخر، فقمنا بوضع إكليلاً حول عنقه ومن ثم ذهبنا سريعاً إلى المنزل.

أمور غريبة حدثت خلال فصلي الربيع والصيف. حضر رجال غرباء إلى منزلنا يسألون عن أسرتي، قال أبي إنهم من جهاز الإستخبارات. ظلت الزيارات مستمرة بعد أن عقد أبي وجمعية سوات إجتماعاً في مدرستنا للإعتراض على خطط الجيش فيما يخص قيام شعب مينجورا ولجان الدفاع المجتمعية بتسيير دوريات ليلية. قال أبي: " إن الجيش يقول أن هناك سلام، فلما نحتاج مسيرات ودوريات ليلية؟".

بعد ذلك استضافت مدرستنا مسابقة الرسم لأطفال مينجورا وكاننا برعاية صديق أبي والذي كان يدير منظمة غير حكومية تهتم بحقوق المرأة. كان من المفترض أن تعرض اللوحات المساواة بين الجنسين و تسلط الضوء حول التمييز ضد المرأة. في ذلك الصباح حضر رجلان من جهاز الإستخبارات إلى مدرستنا لرؤية أبي وقد سألاه: " ما الذي يجري في مدرستك؟" فرد أبي قائلاً: " أنها فقط مسابقات في الرسم والطبخ ومسابقات في كتابة المقالات". بدأ الغضب يكسو وجه الرجلين وكذلك أبي الذي قال لهما: " الكل يعرف ماذا أفعل أنا فلماذا لا تقوموا بواجبكم وتلقوا بالقبض على فضل الله وأولئك الذين تلطخت أيديهم بدماء سوات؟".

في شهر رمضان الذي أعقب تلك الأحداث، أرسل وكيل خان وهو صديق لأبي يعيش في كراتشي، أرسل ملابس للفقراء وطلب منا أن نقوم بتوزيعها فذهبت إلى صالة كبيرة لتوزيعها على الفقراء، وقبل أن ابدأ في ذلك جاء رجال من الإستخبارات وسألوني: " ماذا تفعلين؟ من الذي قام بجلب هذه الملابس؟".

في الثاني عشر من شهر يوليو أكملت الرابعة عشرة من عمري والذي يعني في الإسلام أنني أصبحت بالغة. مع بزوق فجر يوم ميلادي وردت الإنباء عن إغتيال طالبان لصاحب فندق سوات كونتنتال وأحد أعضاء لجنة السلام. كان في طريقه من منزله إلى الفندق في مينجورا عندما نصبوا له كميناً في ساحة.

بدأ الناس مرة ثانية في القلق خوفاً من أن تكون طالبان قد عادت مرة أخرى. فبينما كانت التهديدات التي أطلقت في العامين 2008/2009 تجاه جميع فئات المجتمع، إلا أن هذه المرة طالت التهديدات أولئك الذين يتحدثون ضد

المليشيات والتمسطين من الجيش. قال صديق أبي هدايت الله في حوار مع أبي " إن طالبان ليست قوة منظمة كما نتصور نحن، إنها عقلية وفهم ينتشر في جميع أرجاء باكستان. كل شخص معارض لأمريكا، معارض لحكومة باكستان أو معارض للقانون الإنجليزي فهو متأثر بأفكار طالبان.

في وقت متأخر من ليلة الثالث من أغسطس إستقبل أبي رسالة هاتفية مزعجة من مراسل قناة Geo التلفزيونية والذي يدعى محبوب، وهو ابن أخ زاهد خان، صديق أبي ومالك الفندق الذي تمت مهاجمته في العام 2009 . إعتاد الناس القول أن زاهد خان وأبي كلاهما كان هدفاً لطالبانوسيقتلان حتماً . وما كانوا يجهلونه فقط هو من منهما سيقتل أولاً؟، ذكر محبوب أن عمه أطلقت عليه النار في طريقه إلى صلاة العشاء في مسجد بجوار منزله عندما أصيب في وجهه. عندما سمع أبي بالخبر قال أنه شعر كما لو أن الأرض تحركت من تحت قدميه وأنه شعر كما لو كان أصيب هو. قال أبي : "كنت متأكداً أن دوري قادماً".

رجونا أبي ألا يذهب إلى المستشفى حيث كان الوقت متأخراً، وأن من قاموا بالهجوم على زاهد خان ربما كانوا في إنتظاره. لكنه قال عدم الخروج يعتبر جناً . عرض عليه زملاءه النشطاء السياسيين توفير حراسة إلا أنه كان يعتقد أن ذلك سيتأخر فيما لو ظل منتظراً الحراسة لذلك دعا ابن عمي ليأخذه فبدأت أمي في الدعاء.

عند وصول أبي إلى المستشفى كان هناك عضواً واحداً فقط من جمعية جيقا. أما زاهد خان فكان ينزف بشده وغارقاً في دمه. لحيته البيضاء كأنما غُسلت بلون أحمر، لكنه كان محظوظاً ، فالرجل الذي أصابه أطلق عليه النار ثلاث مرات بمسدس من مسافة قريبة، إستطاع زاهد خان أن يمسك بيد

ذلك الرجل إلا أن الطلقة الأولى فقط أصابته، بشكل غريب دخلت من عنقه وخرجت من أنفه. في وقت لاحق ذكر زاهد خان أنه يذكر بعد إطلاق النار عليه أن رجلاً صغير حليق اللحية كان يقف بعيداً متبسماً لم يداري إبتسامته أو حتى يضع قناعاً. ومن بعدها شعر زاهد خان كأنما غطاه ظلاماً دامساً وكما لو كان سقط في حفرة سوداء. من سخرية القدر أن زاهد خان كان قد عاود الذهاب إلى المسجد بعد أن ظن أن الوضع أصبح آمناً .

دعى أصدقاء زاهد له بالشفاء، تحدث أبي للإعلام فقال: "لا ندري لماذا تمت مهاجمته مع أنهم زعموا أن هناك سلام إنه سؤالاً هاماً للجيش والإدارة. بعدها حذر الناس أبي وطلبوا منه مغادرة المستشفى قائلين له " الوقت الآن منتصف الليل وأنت يا ضياء الدين هنا في المستشفى لا تكن غيبياً؟" فأنت معرض للهجوم ومطلوب كهدف فلا تلقي بنفسك في المخاطر!.

أخيراً نقل زاهد خان إلى بيشاور لإجراء عملية جراحية وعاد أبي إلى البيت أما أنا فلم أستطع النوم بسبب القلق الذي أصابني. ثم ظلت أتأكد من إغلاق جميع الأقفال في كل ليلة. استمر أبي في تلقي المكالمات الهاتفية تحذره بأخذ الحيطة والحذر وأنه سيكون هدفاً قادمًا. فكان أول المتصلين هدايت الله والذي حذره قائلاً: " أستخلفك بالله أن تأخذ حذرك"، كان يمكن أن تكون أنت الهدف فإنهم يقتلون أعضاء جمعية القبيلة واحداً تلو الآخر وأنت المتحدث بأسم الجمعية فكيف يتركوك حياً؟.

إقتنع أبي أن طالبان ستلاحقة حتى تقتله، لكنه مرة ثانية عاد ورفض أي حراسة من قبل الشرطة. وقال: "لخرجت وأنا محاط بالحراسة ستستخدم طالبان أسلحة كلاشنكوف أو تفجير إنتحاري وعندها سيقع عدد من الضحايا، فعلى الأقل أريد أن أقتل وحيداً". فقالت أمي أو أن تغادر سوات!، فقال: لكن

إلى أين يمكنني أن أذهب؟، أنا لا أستطيع أن أغادر المنطقة، فأنا رئيس مجلس السلام العالمي، والمتحدث بأسم مجلس الشيوخ، رئيس جمعية سوات للمدارس الخاصة ومدير مدرستي الخاصة ورب أسرتي.

بعد تلك الأحداث أخذ أبي الحيلة والحذر فغير ما كان يقوم به من أعمال يومية، فكان يوماً يذهب إلى المدرسة الابتدائية أولاً، وفي يوم آخر يذهب إلى مدرسة الفتيات أولاً، وفي اليوم الذي يليه يذهب إلى مدرسة الفتيان. وقد لاحظت أنه كان يراقب الطريق الذي يسلكه أربع أو خمس مرات في أي مكان يذهب إليه.

على الرغم من إرتفاع وتيرة المخاطر كان أبي واصدقائه يقومون بأنشطتهم بفعالية فيما يخص تنظيم الإحتجاجات وعقد المؤتمرات الصحفية وكانوا يحتجون ويتساءلون لماذا تمت مهاجمة زاهد خان لو كان هناك سلاماً؟ ومن قام بمهاجمته؟ ومنذ رجوعنا كنا زحيين لم نرى أي هجمات ضد الجيش والشرطة. أصبح من يدعو للسلام من المدنيين هم من أصبحوا أهدافاً لطالبان.

قائد الجيش لم يكن سعيداً فكان يصرُّ قائلاً: " لقد أخبرتكم بأنه ليس هناك إرهاب في مينجورا، وأن تقاريرنا تؤكد ذلك." . كما إدعى أن زاهد خان أطلقت عليه النار في نزاع حول ملكية عقارية.

أما زاهد خان فقد قضى إثني عشر يوماً في المستشفى وشهراً في منزله ليتعافى بعد أن أجريت له عملية تجميلة لإصلاح أنفه. رفض أن يكون صامتاً. كان مقتنعاً بأن كل شيء أصبح أكثر صراحة لا سيما ضد أجهزة الإستخبارات والتي كانت وراء حركة طالبان. وكان قد كتب رأيه في مقالة في

أحدى الصحف جاء في تلك المقالة : "أن الصراع في سوات تم إختلاقه. أنا أعلم من هاجمني، ما نريد أن نعلمه منفرض هؤلاء المتطرفين علينا". وقد طلب من رئيس القضاء أن يشكل لجنة قضائية لتحقيق في من جلب طالبان إلى وادي سوات. وقد قام بعمل رسم تخطيطي لمن قام بمهاجمته وقال أن الرجل الذي أصابه كان ينبغي أن يقبض عليه قبل أن يصيب شخصاً آخر لكن الشرطة لم تفعل شيئاً .

بعد التهديدات التي أطلقت ضدي، لم تريد أُمي أن أذهب إلى أي مكان مشياً على الأقدام. فأصرت أن تستأجر مركبة صغيرة في شكل دراجة وهي ما تسمى " ركشة" بغرض توصيلي إلى المدرسة، وأن أستغل حافلة المدرسة في العود وبالرغم من أن المسافة كانت على بعد خمس دقائق. كانت الحافلة تنزلي على بعد خطوات من الطريق المؤدي إلى شارع منزلنا. كان يجلس مجموعة من أولاد الجيران على قارعة الطريق، كان أحدهم يدعى هارون أكبر مني سناً، كان يقيم في شارع منزلنا وقد كنا نلعب سوياً عندما كنا صغراً. لاحقاً أخبرني أنه يحبني، إلا أن إبنه عمه الجميلة سافينا جاءت لتسكن بجوارنا فاختارها حبيبةً بدلاً عني، وعندما أخبرته أنها لا تفكر في علاقة الحب عاد ثانية إلى. بعدها تفرقنا إنتقلت أسرته من المنزل الذي كانوا يقطنونه إلى شارع آخر ثم إنتقلنا نحن إلى ذلك المنزل. ثم إلتحق هارون بكلية الجيش كطالب حربي، ولكنه عاد في عطلة وقد رأيتُه يوماً في طريق عودتي من المدرسة يتسكع في قارعة الطريق سار ورائي حتى المنزل ثم رأيتُه يقوم بوضعرسالة على باب منزلنا. طلبتُ من فتاة صغيرة إحضارها لي وقد كتب عليها " لقد أصبحتي مشهورة جداً وأنا مازلتُ أحبك وأعلم أنك تحبيني هذا رقمي أتصلي علي".

أعطيت الرسالة إلى أبي فغضب ثم دعا هارون وقال له أنه سيخبر والده. كانت تلك آخر مرة رأيته فيها. بعدها إختفى الفتيان عن شارع منزلنا إلا أن أحدهم كان صغيراً يلعب مع أخي أتاكان يناديني أينما حللتُ قائلاً " ما حال هارون!" بإيحاء إلى ما كان يفعله هارونمعي. سئمتُ من ذلك فطلبتُ من أتا أن يدخله داخل المنزل فأتى به فصرختُ عليه غاضبةً ومن ثم توقف عن ذلك .

أخبرتُ مونييا بما جرى وقدعدنا أصدقاء ثانيةً ، وكانت مونييا حذرةً في تفاعلات الفتيان كون أن إخوتها قدشاهدوا كل شيء.

"بحسرة وتتهد " أعتقد أحياناً أنه من الأسهل أن أكون مصاصة دماء في فيلم الشفق من أن أكون فتاة في وادي سوات. لكني حقيقة تمنيتُ أن مشكلة هارون_التي عشتها_ لو كانت هي مشكلتي الكبرى.

من هي مالالا؟

في صباح أحد الأيام في أواخر الصيف وعندما كان أبي يستعد للذهاب إلى المدرسة لاحظ أن صورتي والتي كنتُ أبدو فيها ناظرة إلى السماء والتي أعطتني إياها مدرسة في كراتشي، تم تغيير موضعها ليلاً . كان أبي يحب تلك اللوحة وقد علقها على سريره شاهداً ملتوية وقد أزعجته فقال لأمي بنبرة حادة غير معتادة: " رجاءً ضعها معتدلة".

في ذات الأسبوع حضرت الأنسة شازيا معلمة الرياضيات بمدرستنا وهي مضطربة قالت لأبي أنها حلمت لهُماً مروعاً رأت فيه أنها حضرت إلى المدرسة برجل مصابة بحروق شديدة، وأنها تريد حماية رجلها من ذلك الحلم.توسلت إلى أبي أن يتصدق لها بأرز مطبوخ للفقراء والمساكين.فالإعتقاد السائد لدينا بأنك إن تصدقت بأرز فإن كل المخلوقات التي ستأكله حتى النمل والطيور التي ستأكل فتاته الذي يسقط على الأرض، ستدعو لك. بدلاً من الأرز تصدق أبي بمالاً فكانت شازيا مذهولة من تصرف أبي وقالت له إن التصدق بالأرز أعظم أجراً من التصدق بالمال.

ضحكنا على هاجس الأنسة شازيا. بعدها بدأتُ أري أحلاماً مزعجة، لم أتحدث إلى والدي بأي شيء من ذلك. لكن عندما كنتُ أخرج لأي مكان كنت أخشى في أي لحظة أن تقوم طالبان باطلاقاً سلاحها علي أو أن يلقون على وجهي ماء نار كما فعلوا ذلك بإمارة في أفغانستان.بصفة خاصة كنت خائفة من الطرق المؤدية إلى شارع منزلنا الذي إعتاد الفتان الجلوس على قارعتها.

كنت أحياناً أتخيل أن هناك خطى أقدام تسير من خلفي و أتصور أن أشخاصاً يهبطون في الظلمات.

أخذتُ حذري على خلاف أبي، فكنْتُ أنتظر حتى ينام الكل أمي، أبي، أخواني، أفراد عائلتنا وأي ضيوف يحطون علينا من القرية، ومن ثم أقوم بالتحقق من إغلاق كل الأبواب والنوافذ. كنتُ أسير خارج المنزل وأتأكد من أن البوابة الرئيسية للمنزل مغلقة. ومن ثم أتتحقق من إغلاق الغرف واحدة تلو الأخرى. كانت غرفتي مع بعض النوافذ في الواجهة، وكنْتُ أترك الستائر مفتوحة حيث كنتُ أريد أن أري كل شئ خارج المنزل بالرغم من أن أبي منعني فعل ذلك، فقلت: "إن كانوا يريدون قتلي لفعوا ذلك في العام 2009"، لكنني كنتُ قلقة من أن يضع أحدُ سلماً على المنزل ويتسلق الجدار ليدخل من خلال النافذة.

اعتدتُ أن أصلي كثيراً ليلاً. تعتقد طالبان بأننا ليسوا بمسلمين لكننا مسلمين. نحن نؤمن بالله أكثر منهم، ونثق في أن الله سيحفظنا. اعتدتُ أن أقرأ آية الكرسي وهي آيات من سورة البقرة . هي آيات خاصة نؤمن بأن من يقرأها ثلاث مرات كل ليلة فإن أهله سيكونون في أمن من الشياطين والعفاريت. وإذا قرأتها خمس مرات فإن طريقك سيكون آمناً، أما سبع مرات فإن كل المنطقة ستكون آمنة. ولذلك أقوم بقراءتها سبع مرات أو أكثر، ثم أدعو الله بأن يرحمنا ويبارك لنا أولاً في أبي وأسرئنا ثم المنطقة قاطبةً، من بعدها أسأل الله بأن يرحم كل سوات، بل جميع المسلمين ليس المسلمين فقط بل جميع البشرية.

معظم الأوقات التي كنتُ أصلي فيها كانت أثناء فترة الإمتحانات. فكانت هي المرة الوحيدة التي أدبتُ فيها وصديقاتي جميع الصلوات اليومية وكان أمي

تحاول دائماً أن تتصحني بأن أصلي صلواتي الخمس اليومية. وجدت صعوبة في ذلك خاصة في أوقات الظهيرة التي ما كنت أريد فيها أن أبتعد عن التلفزيون. كنت أدعو الله في أوقات الامتحانات أن أحقق درجات عالية بالرغم من أن معلمينا حذرونا بأن الله لن يمنح الدرجات العليا إلا لمن يكد ويجتهد. والله يغمنا برحمته وهو على كل شيء قدير. لذلك درستُ بجد واجتهاد. وعادة ما كنتُ أحب الامتحانات باعتبارها فرصة لإظهار قدراتي. لكن عندما إقترب موعدها في شهر أكتوبر من العام 2012 شعرتُ بأني تحت ضغط. ما كنتُ أريد أن آتي في المرتبة الثانية بعد ملكة بنت نور مرة ثانية كما حصل في إمتحانات شهر مارس حيث تغلبت عليّ ليس بعلامة أو علامتين كما كان الفرق بيننا دوماً، لكن بخمس علامات!. لذلك فقد أخذتُ دورس إضافية بواسطة المعلم أمجد الذي كان يدير مدرسة الأولاد. في الليلة التي سبقت الامتحانات، بدأتُ أدرس حتى الساعة الثالثة فجراً وأعدت قراءة كل الكتاب المدرسي.

في يوم الإثنين الموافق الثامن من أكتوبر، كانت الورقة الأولى مادة الفيزياء، وكنتُ أحب الفيزياء لأنها علم يتصل بالحقيقة، كلمة تحدها القوانين والمبادئ لا عبث حولها ولا تحريف للإشياء كما في السياسة خاصة أولئك الذين في وطننا. وحيث كنا في إنتظار شارة البداية لبدء الامتحانات فقد تلوتُ الآيات المقدسة على نفسي فأكملت الورقة لكنني أخطأت في ملء الفراغات، نازعتُ نفسي فبكيْتُ. وإن كان سؤالاً واحد فقط يستحق علامة واحدة لكنه جعلني أشعر أن شيئاً مدمراً سيحدث.

عندما عدتُ إلى المنزل بعد الظهر، كنت ناعسة لكن في اليوم التالي كانت ورقة الدراسات الباكستانية وهي ورقة صعبة بالنسبة لي. خشيتُ أن أفقد

علامات أكثر فصنعت لنفسي قهوة حليب لأطرد شياطين النوم. عندما حضرتأماًعجبتها القهوةفشربت ما تبقى منها لم أستطع أن أقول لها توقفي! إنها قهوتي. لم تكن هناككمية أخرى من القهوة في الخزانة!. مرة أخرى قمتُ فحفظتُ الكتاب الخاص بتاريخ إستقلالنا.

حضر والدي في الصباح الباكر إلى غرفتي كعادتهمافاستيقظاني. لم أذكر يوم دراسياً واحداً إستيقظتُ فيها صباحاً من تلقاء نفسي. أعدت والدي إفطار الصباح المعتاد من الشاي المسكر، خبز الشباتي، والبيض المقلي، تناولنا جميعاً وجبة الإفطار معاً والدي ، والدي، خوشال وأتال. كان يوماً عظيماً لأمي حيث أنها كانت بصدد أن تبدأ القراءة والكتابة في ذلك المساء مع السيدة ألفت مدرستي القديمة في رياض الأطفال. أما أبي فقد بدأ يختبر أتال، والذي بلغ الثامنة وأصبح أكثر عناداً من ذي قبل فقال له أبي : " أنظر يا أتال عندما تصبح مالالا رئيس وزراء ستكون سكرتيراً لها" فقال مقاطعاً " لا لا ! " أنا لست أقل من مالالا أنا سأكون رئيساً للوزراء وهي ستكون سكرتيرة لي. " كل المزاح إنتهى إلى وقت متأخر ولم يسعفنا الوقت للإستمرار في المزاح ولم يبقى لي من وقت سوى لأكل نصف بيضة ولم يعد الوقتكافياً للإستمرار في النقاش.

مضت ورقة الدراسات الباكستانية بافضل مما توقعت. كانت هناك أسئلة عن كيف أنشأ جناح بلدنا كأول وطن مسلم. وكذلك عن المأساة الوطنية كيف جاءت بنغلاديش إلى الوجود. لم أتصور أن بنغلاديش كانت جزءاً من باكستان بالرغم من أنها تبعد عنها آلاف الأميال. لقد أجبتُ على جميع الأسئلة وكنْتُ واثقةً أنني أدبتُ أداءً حسناً في الإمتحانات.

كنتُ سعيدة عندما إنتهى الإمتحان، وريثما يأتي شير محمد بابا المسؤول بالمدرسة من الإعلان بوصول الحافلة، تناولنا أطراف الحديث والدرشة أنا وصديقاتي.

كانت الحافلة تقوم بتوصيل الطالبات على رحلتين يومياً . في ذلك اليوم كنتُ أنا ومنيبة من ضمن طالبات الرحلة الثانية حيث أردنا أن نبقى في المدرسة. قالت لي منيبة: " طالما نحن مرهقتين بعد الإمتحان دعينا ندرش قليلاً قبل الذهاب إلى البيت". وافقتها الرأي لا سيما أنني أدت أداءً جيداً في ورقة الدراسات الباكستانية . لم أكن قلقة في ذلك اليوم لكني كنتُ جائعة . لم نعد نستطع الخروج إلى الشارع بسبب أننا بلغنا الخامسة عشر من العمر لذلك طلبتُ من إحدى الفتيات الصغار أن تشتري لي كوب من الذرة، فأكلتُ قليلاً منه وأعطيت ما تبقى منه لفتاة أخرى.

عند الساعة الثانية عشرة نادى شير بابا عبر مكبرات الصوت أن استعدوا للعودة إلى المنازل. ركضنا جميعاً عبر الدرج. كانت بعض الفتيات قد غطينَّ وجوههنَّ قبل أن يظهرنَّ من الباب وصعدنَّ مباشرة إلى مؤخرة الحافلة، أما أنا فقد وضعتُ طرحتي فوق رأسي ولم أعطي وجهي. وفي أثناء إنتظارنا وصول المعلمين، طلبتُ من عثمان باهي سائق الحافلة بأن يحكي لنا نكتة حيث كانت لديه مجموعة من الطرائف المضحكة، إلا أنه في ذلك اليوم وبدلاً من الطرائف المضحكة قدم خدعات سحرية ليجعل الحصاة تختفي من بين يديه، فصرخنا قائلين " أرنا كيف فعلت ذلك؟" لكنه لم يفعل.

عندما إستعد الجميع للإنتلاق، سمح عثمان باهي للسيدة روبي وإثنين من الأطفال بالجلوس بجانبه في المقصورة الأمامية للحافلة، إلا أن فتاة صغيرة بدأت في البكاء وأرادت أن تتركب بجانبهم في المقصورة الأمامية، فرفض

عثمان باهي بألا مكان في المقصورة ويجب عليها أن تتركب في مؤخرة الحافلة. حزنْتُ لها وأقنعتُ عثمان بان يسمح لها بالجلوس حيث تريد. كانت أمي قد طلبت منأتال بأن يركب الحافلة معي فجاء من المدرسة الابتدائية وأراد أن يتعلق بالباب الخلفي للحافلة فأغضب عثمان باهي بسبب أن ذلك يمثل خطراً عليهم يسمح عثمان باهي _ الذي كان متضيقاً في ذلك الوقت_ لأتال بذلك وقال له: "إجلس داخل الحافلة أتال خان وإلا فلن أخذك معي في الحافلة!"، غضب أتال ورفض ما طلبه عثمان باهي فانطلق ماشياً مع بعض أصدقائه في نوبة من الغضب.

بدأ عثمان باهي في تشغيل محرك السيارة. كانت بعض الفتيات يغنيين، أما أنا فكنْتُ أتحدثُ إلى منيية صديقتي الحليفة الرائعة وأقرع على مقاعد السيارة باصابعي محدثة إيقاعاً . كنْتُ ومنيية نحب أن نجلس في مؤخرة الحافلة التي كانت بها نوافذمن خلالها نتمكن من مشاهدة ما يجري في الشارع .

في ذلك الوقت من اليوم كان شارع حاجي بابا كعادته مكتظاً بمجموعة منالركشات الملونة. أناس يمشون سيراً على الأقدام، رجال يمتطون دراجات نارية، يتجاوزن بها المارة وهم يزمرون بأصوات عالية، وهناك صبي يبيع آيس كريم يركب في الجانب الخلفي مندراجة ثلاثية العجلات مرسوم عليها صواريخ نووية بألوان حمراء وبيضاء كان يلوح لناويروع المارة بحركات مزعجة. في وسط ذلك الهرج قام رجل بقطع رأس دجاجة فسالت دماؤها على الطريق وتقطرت قطرة.. قطرة.. فقامت بقرع أصابعي محدثة أصوات، وكان منظرًا مضحكاً . عندما كنْتُ صغيرة كنْتُ دائماً أقول أن أهالي سوات مسالمين بطبعهم حتى أنك إن إردت أن تذبح دجاجة من الصعب أن تجد رجلاً ليذبحها لك .

كانت رائحة الديزل تفوح في الجو. أما الخبز والكباب فقد أختلطا برائحة كريهة آتية من جدول إعتاد الناس أن يلقوا بالقمامة فيه لم نستطع منعهم من ذلك رغم الحملات التي قام بها أبي. لقد إعتدنا على ذلك، لكن قريباً سيحل الشتاء وتأتي الثلوج التي من شأنها أن تطهر وتهدئ كل شئ.

إنعطفت الحافلة يميناً نحو الطريق الرئيسي على نقطة التفتيش التي كان يقيمها الجيش. وعلى كشك صغير وضع ملصق عليه صورة رجال ملتحين يتطاير الشر من عيونهم يرتدون عمامات وقبعات. كُتب أسفل الملصق عبارة تقول "إرهابيون مطلوبين"، وضع أعلى الملصق صورة رجلٍ ملتحٍ يرتدي عمامة سوداء كان هو فضل الله . إنقضت أكثر من ثلاث سنين منذ بدء العمليات العسكرية لطرد طالبان خارج وادي سوات. كنا ممنونين للجيش إلا أننا لم نفهم لماذا ظلوا منتشرين في كل مكان. أوكار الأسلحة الرشاشة فوق الأسطح ونقاط التفتيش المزودة بالجنود منتشرة، حتى الدخول إلى وادي سوات كان يتطلب الحصول على تصريح رسمي.

كان الطريق إلى أعلى التل الصغير وعادة ما يكون مزدحماً إذ أنه طريق قصير لكنه في ذلك اليوم كان هادئاً بشكل غريب، فسألت منيبة " أين كل الناس؟". كانت الفتيات داخل الحافلة يغنين ويدردشن فيما بينهن حتى إرتدت أصواتنا داخل الحافلة. طوال ذلك الوقت ربما تكون أُمي عبرت خلال مدخل مدرستنا لتتلقى دروسها حيث أنها كانت قد تركت مقاعد الدراسة في سن السادسة من عمرها.

لم أرى الشابين الذين تقدما فجأة مسرعا الخطنحو الحافلة فاستوقفا الحافلة توقف مفاجئاً وسألاً " من هي مالالا؟". لم تتح لي فرصة للإجابة على

أسئلتهما أو لأوضح لهما لما يجب عليهما أنيتركوا الفتيات و كذا أخواتهن
وبناتهن أن يذهبن إلى المدرسة.

آخر ماكنتُ أتذكره أني كنتُ أفكر في مراجعة أردتُ القيام بها في اليوم التالي
للحادث. ثلاثة رصاصات أُطلقت على رأسي ، الأصوات فوق رأسي لم تتخذ
شكل إطلاق الرصاص العادي لكنها كانت وكأنه الرجل يقطع رؤوس
دجاجات ويلقي بها واحد تلو الآخر في شارع متسخ.

ما بين الحياة والموت

Guns of Darkness! Why could I not curse you?

You turned love-filled homes into broken debris

كيف لا ألعنك أسلحة الظلام؟

وقد حولت دياراً محبوباً إلى أطلال مفتتة